القافلة

صفر ١٤٠٦هـ اكتوبر - نوفمبر ١٩٨٥م

رحلة إلى أعماق مياه عروس البحر الأحمر

مدينة جدة

ع. قباني

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
THE CARAVAN OCT/NOV 1985

صفر ١٤٠٦هـ اكتوبر - نوفمبر ١٩٨٥م
العدد الثاني/ المجلد الرابع والثلاثون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك


محاولات الانسان في كشف البحار


رحلة إلى أعماق مياه عروس البحر الأحمر.. مدينة جدة


إرتفاع ضغط الدم

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام
Designed & Printed By Al-Wafa P. Press- Dammam



بقلم : د. أحمد جمال العمري/جدة

أرسل الله ، سبحانه ، رسوله المصطفى .. محمداً ﷺ بالرسالة الخاتمة ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً .

أرسله الى الناس كافة ، أسودهم وأبيضهم ، عربيهم وأعجميهم ، وختم بنبوته النبوات ، وبرسالته الرسالات ، وفرض على الناس طاعته ، وأوجب عليهم محبته ، وألزمهم بمتابعته ، وخصه بخصائص فريدة لم يخص بها غيره — منها الوسيلة ، والدرجة العالية الرفيعة ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، وأعطي الكوثر ، وانفرد بالشفاعة ، يوم تقوم الساعة .

★ وقد بشرت الكتب السماوية بنبوته ، وبأنه سيخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى سبيل الرشاد . وسجلت ذلك بشهادة القرآن .

﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم** ﴾[1] .

وحكى القرآن عن عيسى ، عليه السلام : ﴿ **وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد** ﴾[2] .

★ وجاء في توراة موسى ، عليه السلام : « **سوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوانهم ، وأجعل كلامي في فيه ، ويكلمهم بكل شيء آمره به ، ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي ، فأنا اكون المنتقم من ذلك** » .

فهذه البشارة الواردة في التوراة تشهد شهادة واضحة بنبوة النبي محمد — ﷺ — ووجوب اتباعه ، ولزوم طاعته ، وهي حجة على أهل الكتاب جميعا ، وإن جحدوها وتأولوها . فقول التوراة « **سوف أقيم لهم نبيا مثلك** » هو الشهادة على صدق نبوته ، وصحة رسالته ، لأن المتكلم هو الله ، والمخاطب هو نبى الله موسى ، ومن كان (مثله) فهو نبي ورسول مبعث أيضا .

★ وفي قول التوراة : « **وأجعل كلامي في فيه** » لا ينطبق إلا على النبي محمد ، ﷺ ، لأنه هو الذي يقرأ كلام الله ويحفظه ، وهو القرآن الكريم .

★ وعبارة : « **يكلمهم بكل شيء** » أقوى دليل وشاهد إذ النبي — ﷺ —

تكلم بغيب لم يتكلم به نبي سواه ، إذ أخبر بكثير من الأمور الغيبية ، فأخبر عن أصحاب الكهف ، وذي القرنين ، والخضر صاحب موسى ، وتحدث عن الروم ، ونبّأ بفتح فارس ، وبلاد الروم ، وفتح مكة .. الى آخر هذه الأمور التي لم يكن يعرفها من قبل .

★ وجاء في التوراة ، أي العهد القديم ، ما نصه :

« **يا أيها النبي إنا أرسلناك مبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر . ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا اله إلا الله ، فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا** »[٣] .

★ وجاء في التوراة أيضاً : « **هم أغاروني بغير الله ، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة ، وأنا أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغضبهم** » .

فقول التوراة «**وبشعب جاهل**» دليل صريح على انه الشعب العربي ، إذ هو الشعب الجاهل قبل بعثة النبي ـ ﷺ ـ الذي بعث للأميين .

★ كما جاء في العهد القديم : « **فلا يزول القضيب من يهوذا ، والمدبر من فخذه حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم** » فمن ذاك الذي كانت تنتظره الأمم سوى النبي محمد ـ ﷺ ؟

★ وجاء في سفر التثنية ـ الباب ٣٣ : « **جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، ومعه ألوف الأطهار** » .

فهذه شهادة صريحة من التوراة ، واضحة بنبوة ورسالة محمد ـ ﷺ ـ اذ معنى هذا اللفظ ، ان الله تعالى ناجى موسى ، وأوحى اليه بسيناء ، وأرسل عيسى ، وأوحى اليه بساعير ، وهي من أرض الجبل بالقدس ، وبعث محمدا ـ ﷺ ـ رسولا ، معلنا كلمة : « لا إله إلا الله » مستعلنا بها من مكة الواقعة بين جبال فاران ، كجبل أبي قبيس وحراء ، وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها .

ان كل هذه البشارات وردت في العهد القديم « التوراة » وكان اليهود اكثر الناس تلهفا وانتظارا لمبعث النبي العربي ، في جزيرة العرب ، ولكن الحسد هو الذي دفعهم الى التنكر له ، وعدم الايمان به ، وبذلك دمغهم القرآن ولعنهم :

﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين**﴾[٤] .

والبشارة بالرسول العربي لم تقتصر على العهد القديم وحده ، بل بشر به العهد الجديد (الانجيل) أيضا في اكثر من موضع . مثال ذلك :

★ « **في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكْرز** (ينادي مبشرا) **في برية اليهود ، قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات** » .

فقوله : « **قد اقترب ملكوت السموات** » إشارة الى قرب مبعث النبي ـ ﷺ ـ إذ هو الذي ملك وحكم بقانون السماء .

★ « **يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها انسان وزرعها في حقله ، وهي أصغر جميع البذور ، ولكن متى نمت فهي اكبر البقول** » .

فهذه العبارة هي نفسها التي وردت في القرآن الكريم ، في قوله تعالى :

﴿ **ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار** ﴾[٥] .

★ وجاء في الانجيل الذي جمعه يوحنا ، الكثير من البشارات التي جاءت تبشر بمحمد ـ ﷺ ، منها ما ورد في الفصل الخامس عشر ، وهو قوله :

ـ « **إن الفار قليط روح الحق الذي يرسله الله ، وهو يعلم كل شيء** » .

ـ « **والفار روح القدس ، الذي يرسله الله ، وهو يعلم كل شيء ، وهو يذكركم بما قلت لكم** » .

ـ « **واذا جاء الفار قليط ، الذي يرسله الله ، الذي هو يشهد لي ، قلت لكم هذا أخي** » .

★ وجاء في الفصل السادس عشر منه ، قوله :

ـ « **لكني أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أنطلق . لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفار قليط ، فاذا انطلقت أرسلته اليكم ، فهو يوبخ العالم على الخطيئة** » .

ـ « **إن لي كلاما كثيرا ألستم تطيقون كلمة الآن ، لكن اذا جاء روح الحق ، ذاك فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي** » .

وهكذا تكرر لفظ « **الفارقليط** » في الانجيل ، وأعلم به المسيح ، وبشر به قومه .

★ وقد تباينت أقوال المفسرين النصارى في المراد بـ « **الفار قليط** » وذهبوا الى أقوال منها : ان (الفار) بمعنى المخلّص ، وقال بعضهم هو مشتق من الفاروق او الفارق .

وقالوا ايضا : (ليط) مقطع يزاد ، كما يقال : رجل هو ، وعالم هو ، ومخلّص هو .

ومن المسلّم به ، انه لا نبي بعد عيسى بن مريم سوى النبي المصطفى محمد ، ﷺ ، وهذه البشارات قد تضمنت بوضوح .. انه سيأتي بعد عيسى نبي يخلص العالم مما فيه ، ويوبخهم على الخطيئة ، ويتكلم بما يسمع ، اي بما يوحى اليه من رب العزة .

فهذه العبارة ، من الانجيل ، صريحة الدلالة على التبشير بالنبي ﷺ ، فهو الذي صحّح أوضاع العالم ، وهو الذي بُعث والعالم يسبح في بحور الفساد والضلال ، والشرور والوثنية ، وهو ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذي جاء بعد رفع عيسى بن مريم ، يدعو الى رب السموات والارض . وهذا ما أكده القرآن العظيم ، في قول الحق سبحانه :

﴿ **واذ قال عيسى بن مريم : يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ، فلما جاءهم بالبينات ، قالوا : هذا سحر مبين** ﴾[٦] .

وقد أقر علماء أهل الكتاب بنبوة النبي محمد ، ﷺ ، وشهدوا على ذلك . فقد سجل القرآن الكريم « شهادة اليهود » في اكثر من موضع . من مثل قوله تعالى :

﴿ **أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل** ﴾[٧] . ففي هذا القول لوم وتوبيخ للعرب المشركين ، الذين لم يؤمنوا برسالة محمد ، ﷺ ، مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته ، وثبوت رسالته ، وهي معرفة علماء بني اسرائيل وشهادتهم له بانه نبي الله ، وما جاء به هو من عند الله .

وقوله تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** ﴾[٨] . فقد نصت هذه الآية الكريمة ، على أن الذين أوتوا الكتاب ، التوراة والانجيل ، يعرفون نبوة محمد ، ﷺ ، وصدقه فيها ، معرفة مثل معرفتهم لأولادهم ، كما اخبرت أن فريقا كبيرا منهم يكتمون الحق بعد معرفتهم له ، وإن لم يؤمنوا برسالة محمد ، ﷺ ، بعد معرفتهم لها تمام المعرفة .

ويحضرنا في هذا المجال .. شهادة عبدالله بن سلام ، الذي كان من علماء اليهود وأحبارهم ، التي رواها البخاري عن أنس بن مالك ، قال : ان عبدالله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ، ﷺ ، المدينة ، فأتاه فقال : إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، قال :

ما أول أشراط الساعة ؟ .. وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ .. ومن أي شيء ينزع الولد الى أبيه ؟

فقال رسول الله ، ﷺ ، أخبرني بهن آنفا جبريل ، قال عبدالله بن سلام : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقال رسول الله ، ﷺ :

ـــ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب .

ـــ وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت .

ـــ وأما الشبه في الولد ، فان الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها . قال عبدالله ابن سلام : أشهد انك رسول الله .

ثم قال : يا رسول الله : إن اليهود قوم بُهت إن علموا باسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك . فجاءت اليهود ، ودخل عبدالله البيت ، فقال رسول الله ، ﷺ :

ـــ أي رجل فيكم عبدالله بن سلام ؟ قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا .. فقال رسول الله ، ﷺ ، أفرأيتم إن أسلم عبدالله ؟ . قالوا أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبدالله اليهم فقال : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله » . فقالوا : أشرّنا وابن شرنا ؟ ووقعوا فيه[٩] .

ان شهادة عبدالله بن سلام هذه حجة للرسول الكريم ـــ ﷺ ـــ وتعد من أكبر الشهادات لمحمد بالنبوة ، بعد شهادة التوحيد .

★ كما سجل القرآن الكريم شهادة النصارى بنبوة محمد ، وثبوت رسالته في أكثر من موضع :

من مثل قولــه تعالــى : ﴿ **لتجدنَّ أشد النــاس عداوة للذين آمنــوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنــا نصارى ، ذلــك بــأن منهــم قسّيسين ورُهْباناً ، وانهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا مــا أنــزل الى الرســول تــرى أعينهم تفيــض من الدمــع مما عرفــوا مــن الحــق . يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين** ﴾[١٠] .

فقد اتفق علماء التفسير والأخبار على ان هذه الآيات نزلت في نجاشي الحبشة ، وأصحابه المؤمنين ، فقولهم : ﴿ **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** ﴾ . قولهم هذا يعد شهادة عظيمة بالاسلام ، ونبي الاسلام ، وكتاب الاسلام ، وأمة الاسلام .

ويؤيد هذا الرأي ويدعمه ما كتبه « النجاشي الاصحم بن أبجر » في رسالته الى النبي محمد ، ﷺ ، كتب يقول : الى محمد رسول الله .. من النجاشي الاصحم ابن أبجـــــر .

« سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته ، لا اله الا الله ، هو الذي هداني الى الاسلام ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله بما ذكرت من أمر عيسى ، فَوربِّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به الينا ، وقربنا ابن عمك (جعفر) وأصحابه ، فاشهد انك رسول الله صادقاً مصدقاً ، وقد بايعتك ، وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وبعثت اليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر ، فاني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله »[١١] .

وروي أبو داوود أن النجاشي قال: أشهدانه رسول الله، ﷺ ، وانه الذي بشر به عيسى بن مريم[١٢].

★ ولقد شهد الله ، تبارك اسمه ، وملائكته لمحمد بالنبوة والرسالة . وإن شهادة الله لتعلو فوق كل شهادة ، ودلالتها تسمو على كل دلالة . يقول رب العزة :

﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل اليك ، أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيداً** ﴾[١٣] .

★ كما أخبر الصادق المصدوق ، ﷺ ، عن نبوته ، وانها خاتمة النبوات . فقال : ﷺ : « أنا النبي لا كذب .. أنا ابن عبدالمطلب »[١٤] .

وقال ، ﷺ ، « إني عبدالله وخاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته »[١٥] .

وقال ، ﷺ : « ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي »[١٦] .

ومن المهم أن نعلم .. ان شهادة الله ، جلّت حكمته، لها جانبان: جانب إخباري، وجانب إعجازي .

★ أما الشهادة الإخبارية : فهي إخبار رب العزة عن اصطفائه لرسوله ، وإلهامه ووحيه ، وتأييده له قولا وفعلا .

من مثل قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيراً ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** ﴾ [١٧] .

وقوله عز وجل : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم** ﴾[١٨] .

وقوله جل جلاله : ﴿ **يا ايها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته** ﴾[١٩] .

★ وأما الشهادة الاعجازية ، فهي إمداده بالمعجزات التي تؤيده لتكون دليل صدق على نبوته . وأول المعجزات التي أمده بها « القرآن العظيم » المعجزة المعنوية ، الوحي الذي أوحاه الله تعالى اليه ، إنها أعظم معجزة عرفتها البشرية ، المعجزة التي جعلته قارئا كاتباً ، حيث نزل الوحي على قلبه الطاهر بقوله : ﴿ **إقرأ** ﴾ ، فقال : ما أنا بقارىء ، قال له الوحي : ﴿ **إقرأ** ﴾ ، فقال : ما أنا بقارىء ، فنزل قول الحق : ﴿ **إقرأ باسم ربك** ﴾ ، أي بأمر ربّك ، وبإذن ربك ، وبقدرة ربك ، ستقرأ يا محمد ، وستكون من القارئين العالمين ، العارفين ، المفسرين .. هذا في الوقت الذي كان معلوما فيه ، انه ﷺ . كان أمّيا ، لم يقرأ ولم يكتب قط ، ولم يجلس بين يدي معلم قط ، وأيضا إذ العادة ماضية باستحالة تكلمه بالعلوم والمعارف ، ومعرفته لها ، وتفوقه فيها ، فضلا عن أن يأتي بما لم يأت به غيره من معاصريه .

فالوحي الالهي .. القرآن الكريم ، قد حوى أمور الدين والدنيا ، أمور الهداية والتشريع ، واشتمل على قدر من العلوم الالهية ، حيث أثبت الكثير من الحقائق العلمية ، مثل :

★ نظام التزاوج ، يشير الى هذا القانون قوله تعالى : ﴿ **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ﴾[٢٠] .

★ والقوانين الكونية ، كعملية انزال المطر ، التي يشير اليها قوله سبحانه : ﴿ **الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله** ﴾[٢١] .

كما تعرض لبدء الخليقة ، وذكر من قصص الماضين ، وأخبار السابقين الشيء العجيب ، وأخبر بمغيبات عديدة ، فكانت كما أخبر حرفيا ، وبلا زيادة أو نقصان ، كالإخبار بنهاية حرب الروم مع الفرس ، وغلب الأولى للأخيرة ، بعد ان كانت قد غلبت وانهزمت ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **الم ، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون** ﴾[٢٢] .

هذا القرآن العظيم ، أتى به النبي الأمي ، يتحدى الخلق على الاتيان بمثله ، أو بعشر سور من مثل سوره ، أو بسورة واحدة ، فتعجز البشرية ومعها الجن كلهم ، وتطأطىء رأسها ، وتسكت عن المعارضة ، لأكبر معجزة أوتيها محمد ، ﷺ ، لتدل على صدق نبوته ، وثبت رسالته .. وفي ذلك نزل قول الحق : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾[٢٣] .

ويقول النبي المصطفى ، ﷺ ، « ما من الأنبياء من نبي الا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحي الي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »[٢٤] .

وهذا التحدي القرآني سيظل قائما الى يوم القيامة ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾[٢٥] .

فقوله تعالى : ﴿ **ولن تفعلوا** ﴾ أي الإتيان بسورة قرآنية من أمي مثل محمد ، ﷺ ، في أميته . هذا التحدي ، وهو نفي الاتيان بسورة من أمي — مازال قائما ، وقد مضى عليه الآن ما يزيد على الألف والأربعمائة سنة ، دون ان يأتي أحد بما يبطله .

هذا عن المؤيدات المعنوية البيانية الممثلة في القرآن . أما المؤيدات الإعجازية الحسية أو المادية ، التي أيد الله بها نبيه محمد ، ﷺ ، فهي :

★ فيضان الماء بين أصابعه بالحديبية حتى سقى وروى جيشاً كاملا قوامه ألف وأربعمائة رجل وامرأة[٢٦] .

★ تكثير الطعام يوم الخندق ، حيث أطعم بصاع من الشعير وجدي صغير جيشا كاملا تعداده ألف رجل او يزيدون[٢٧] .

★ حنين الجذع اليه ، ﷺ ، ونطقه ، وسماع مئات الرجال الأخيار له ، وعدم سكوته الى أن أتاه الرسول وهدهده كما تهدهد الأم طفلها فسكت[٢٨] .

★ رده ، ﷺ ، عين قتادة ، حيث خرجت حتى تدلت على وجنته بسبب ضربة أصابته يوم أحد ، فردها ومسح عليها ، فرجعت أحسن منها قبل اصابتها[٢٩] .

★ تسبيح الطعام بين يديه ، ﷺ ، وأصحابه يسمعون ، وهم عدد كبير من الصحابة الأجلاء[٣٠] .

★ انشقاق القمر له ، ﷺ ، حين طلبت قريش ذلك استدلالا على نبوته ، فانشق القمر ، فكان فلقتان على جبل أبي قبيس ، وأهل مكة كلهم يشاهدون ويعجبون[٣١] . وقد سجل القرآن الكريم حدث هذا الانشقاق بقوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ .

★ تسليم الشجر والحجر عليه على مرأى من الناس ومسمع ، وعشرات المرات[٣٢] .

★ الاسراء به والمعراج من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، ثم الى السماء السابعة ، حيث سدرة المنتهى عند جنة المأوى ، فبلغ مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وناداه ربه وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس . وقد سجل القرآن أحداث هذه الرحلة المقدسة في سورتي الإسراء والنجم .

★ إخباره بالمغيبات الكثيرة فكانت كما أخبر:
— من ذلك قوله ، ﷺ ، في « الحسن ابن علي » ، رضي الله عنه ، « ان ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين » ، فكان كما أخبر(٣٣) .
— وقوله ، ﷺ ، في « عمار بن ياسر » وهو يحمل اللبن لبناء المسجد « تقتلك الفئة الباغية فكان ، كما أخبر بذلك، فقد قتل عمار في حرب علي ومعاوية ، قتله جيش الشام(٣٤) .

ونتيجة لهذه البشارات وهذه المؤيدات الإعجازية ، المعنوية والمادية ، وجب الإيمان بنبي الله محمد ، ﷺ ، وتصديق نبوته ، والأخذ بتعاليم رسالته .

وهنا يلمع في الذهن سؤال .. هل ترك النبي شيئاً غامضاً ملتبساً على أمته ؟

أقول : لقد شاء اللطيف الخبير ، سبحانه وتعالى ، أن يكون هذا الرسول ، السراج المنير ، الذي اخرج الله به الناس من الظلمات الى النور ، وأنزل معه الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأمر الناس ان يردوا ما تنازعوا فيه من امر دينهم الى ما بعث به : الكتاب والحكمة ، وهو يدعو الى الله ، والى سبيله باذنه على بصيرة ، وقد اخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم ، وأتم عليهم نعمته .. فمحال مع هذا أن يكون الرسول قد ترك بابا من أبواب الايمان ملتبسا مشتبها دون ان يوضحه ، أو أغفل ما يجب لله من الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، وما يجوز عليه ، وما يمتنع عليه ، فان معرفة هذا ، أصل الدين ، وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس ، وأدركته العقول .

إن الذي لا شك فيه ، ان النبي المصطفى ، ﷺ ، قد علم أمته كل شيء من أمور دينهم ودنياهم ، وقال : « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك »(٣٥) .

وقال ، ﷺ ، : « ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم »(٣٦) .

وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، « قام فينا رسول الله ، ﷺ ، مقاماً ، فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه »(٣٧) .

وقال أبو ذر ، رضي الله عنه ، « لقد توفي رسول الله ، ﷺ ، وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وذكر لنا منه علما »(٣٨) .

ومحال مع تعليم الرسول ، ﷺ ، لصحابته ولأمته كل شيء ، لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت ، أن يترك تعليمهم ما يقولون بألسنتهم ، ويعتقدونه في قلوبهم عن ربهم المعبود ، رب السموات والأرض ، رب العالمين ، ومعرفته غاية المعارف ، وعبادته اشرف المقاصد ، وهي زبدة الرسالة الالهية ، وخلاصة الدعوة النبوية . كيف يتوهم من في قلبه أدنى لمحة من إيمان وحكمة ، أن يكون الرسول قد أغفل بيان هذه الأمور ولم يتمها غاية التمام ، وهو القائل : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ، كتاب الله وسنتي » .

إن رسول الله ، ﷺ ، بيّن جميع الدين ، أصوله وفروعه ، باطنه وظاهره ، علمه وعمله ، فان هذا الأمر هو أصل أصول العلم والإيمان ، وكل من كان أعظم اعتصاما ، واكثر تمسكا بهذا الأصل ، كان أولى بالحق علما وعملا . كما بين الرسول ، ﷺ ، كان أصول الدين الحق ، الذي أنزل الله به كتابه ، وأرسل رسله ، وهي الأدلة والبراهين ، والآيات الدالة على ذلك بيّنها أحسن تبيين ، ودلّ الناس وهداهم الى الأدلة العقلية ، والبراهين اليقينية ، التي بها يعلمون المطالب الالهية ، وبها يعلمون اثبات ربوبية الله سبحانه وتعالى ، ووحدانيته وصفاته ، وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالأدلة السمعية ، بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية وإن كان لا يحتاج اليها ، فان كثيرا من هذه الأمور يعرف بالخبر اليقين الصادق ، ومع ذلك فالرسول الكريم ، ﷺ ، بيّن الأدلة العقلية الدالة عليها ، فجمع بين الطرفين : الدلائل السمعية والدلائل العقلية □

---

(١) الأعراف/١٥٧
(٢) الصف/٦ .
(٣) أخرجه البخاري .
(٤) البقرة/٨٩ .
(٥) الفتح/٢٩ .
(٦) الصف/٦ ،
(٧) الشعراء/١٩٧ . ١٥٦/٥ .
(٨) البقرة/١٤٦ ، ١٤٧ .
(١٠) المائدة/٨٢ — ٨٥ .
(١١) ابن كثير : « البداية والنهاية » ج ٣ ص/٨٤ .
(١٢) سنن أبي داوود ١٨٩/٢ .
(١٣) النساء/١٦٦ .
(١٤) رواه الشيخان .
(١٥) رواه البخاري في التاريخ ، وواه أحمد وابن حبان .
(١٦) رواه أحمد والترمذي .
(١٧) الأحزاب/٤٥ ، ٤٦ .
(١٨) النساء/١٧٠ .
(١٩) المائدة/٦٧ .
(٢٠) يس/٣٦ .
(٢١) الروم/٤٨ .
(٢٢) الروم/١ — ٣ .
(٢٣) الاسراء/٨٨ .
(٢٤) متفق عليه .
(٢٥) البقرة/٢٣ ، ٢٤ .
(٢٦) انظر « صحيح البخاري » ٢٣٤/٤ ، ١٥٦/٥ .
(٢٧) كان هذا في غزوة الأحزاب ، متفق عليه .
(٢٨) رواه البخاري ١١/٢
(٢٩) « سيرة ابن هشام » ٣٣/٣ .
(٣٠) رواه البخاري ٢٣٥/٤ .
(٣١) رواه الشيخان .
(٣٢) « صحيح مسلم » ٥٨/٧ وانظر حديث تسليم الأحجار والأشجار في الترمذي برقم ٣٦٣٠ .
(٣٣) أخرجه البخاري ٣٢/٥ .
(٣٤) انظر « صحيح مسلم » ١٨٦/٨ .
(٣٥) متفق عليه .
(٣٦) رواه مسلم .
(٣٧) أخرجه البخاري .
(٣٨) رواه مسلم .

محاولات الإنسان في كشف البحار

بقلم : د. محمد علي الفرا / الكويت





☆ لَم يَجرؤ الأوربيُون في العصُور الوسْطى عَلى الأبحَار بعيداً عَن الشَواطىء لاعتقَادهم بأنّ العفَاريْت والشَياطين تَسْكن أعَالي البحَار.

☆ بَدأ الصرَاع الدوَلي للسَيْطرة عَلَى البحَار منْذ القرْن الثَامِن عشَر.

☆ البحَار مسْتودَع كَبيْر لكَثير مِنَ الثرَوات الهَامَة للإنسَان.

☆ يمكن زيَادة كميَة الصيْد البَحري إلى خمسَة أضعَاف معدّله الحَالي.

استخدم الانسان البحار من قديم الزمان في التنقل والأسفار ، وبذلك بدأت نواة علم البحار . وكان اهتمام الانسان آنذاك معرفة حالة الريح ، وحركات الموج ، واتجاهات المسالك البحرية ، فتلك أمور تساعد البحارة على تجنب المخاطر والأهوال .

وهناك من الامم والأقوام ما كانت تخشى البحر وتعزف عن ركوبه لأنه على حد قول أحدهم ان الناس وهي تركب البحر وتمخر عبابه اشبه بالدود على العود ، الداخل فيه مفقود ، والخارج منه مولود . ولكن بتقدم المعرفة والعلم أصبحت هذه المخاوف لا أساس لها ، وتطورت صناعة السفن وتحسنت وسائل الأمان ، وعرف الانسان الكثير عن البحار وأحوالها مما ساعد على التغلب على كثير من المخاطر .

وكان اهتمام الانسان بالبحر ليس لانه وسيلة نقل وسفر فقط ، ولكنه الى جانب ذلك كان منذ الأزل مصدر خير ورزق وبركة . وهناك أمم وشعوب تقع أقطارها على البحار وتعيش مما تصطاده من أسماك مختلفة الأنواع والأشكال .

البحار والصراع الدولي

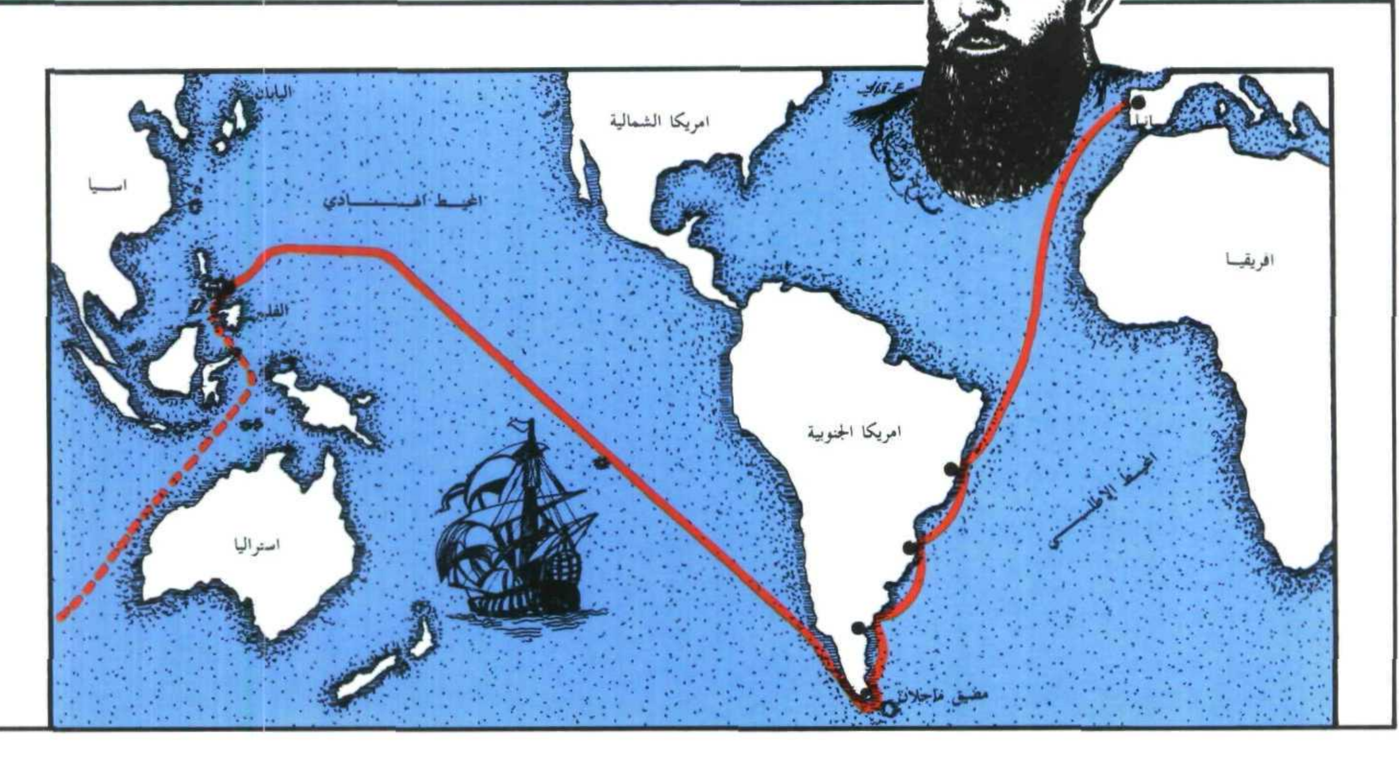
على الرغم من اهتمام الانسان بالبحر من قديم الزمان الا ان هذا الاهتمام كان من قبيل كشف المجهول ، وجعله اقرب الى المعلوم ، ففي قرارة نفسه كان يتوجس من البحر خيفة ويخشاه . فالأوروبيون في العصور الوسطى ، كانوا يطلقون. على المحيط الأطلسي بحر الظلمات ، ويظنون ان الجن والعفاريت تسكن داخله ولذلك لم يتجاسروا على الابتعاد عن شواطئه . وظل هذا الاعتقاد سائدا حتى عصر الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر . ومن بعد ذلك بدأت عمليات ارتياد البحار وكشف العالم الجديد ، وانبثق عالم جديد وعصر جديد .

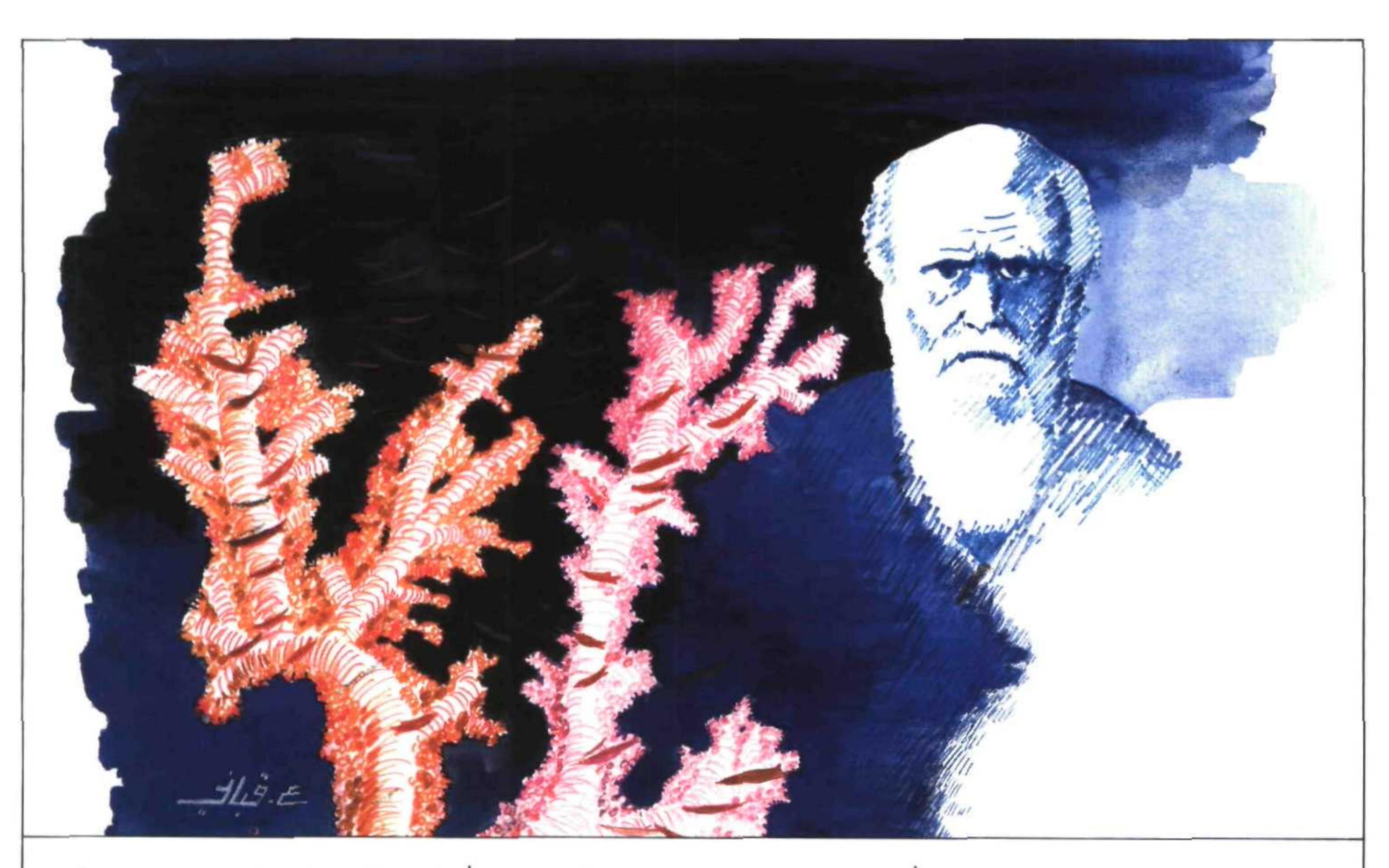
وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وحتى مطلع القرن العشرين كانت علوم البحار مثار اهتمام العسكريين من رجال اساطيل الدول البحرية في ذلك الزمان ، كالاسبان ، والبرتغاليين ، والانجليز . وبناء عليه ، فان الذين حاولوا سبر أعماق البحار ومعرفة سير التيارات البحرية كانوا حينما يقومون بهذه الأعمال انما من اجل تطوير الكفاءات الحربية والاستفادة من البحار في اغراض الحروب . وهكذا فيما بعد تم صنع المدمرات البحرية والغواصات وغيرها والتي بها تفوقت دول على اخرى تنافسها في هذا المضمار وتسعى للسيطرة على البحار . فبريطانيا — على سبيل المثال — تربعت على عرش المجد البحري سنينا بل قرونا بعد ان تمكنت في سنة ١٥٨٨ م من هزيمة الاسطول الاسباني اكبر اسطول عرفه ذلك الزمان في موقعة الارمادا الشهيرة .

إن التسابق العسكري بين الدول والقوى العظمى آنذاك في ارتياد البحار كان على قدم وساق كما هي الحال اليوم في التسابق على ارتياد الفضاء والسيطرة عليه . ولكن منذ القرن العشرين بدأ العلماء يركزون على البحار من زاوية السلم لا من زاوية الحرب ، وهكذا شهد العالم ميلاد علم جديد .

الإحساس بالجهل يدفع إلى المعرفة

لولا إحساس المرء بجهله لما طلب المعرفة ، فكما يقول الرسول الكريم ، ﷺ ، « يظل المرء عالما ما بقي يطلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل » . ومن الطبيعي بأن شعور الانسان بجهله وقصوره





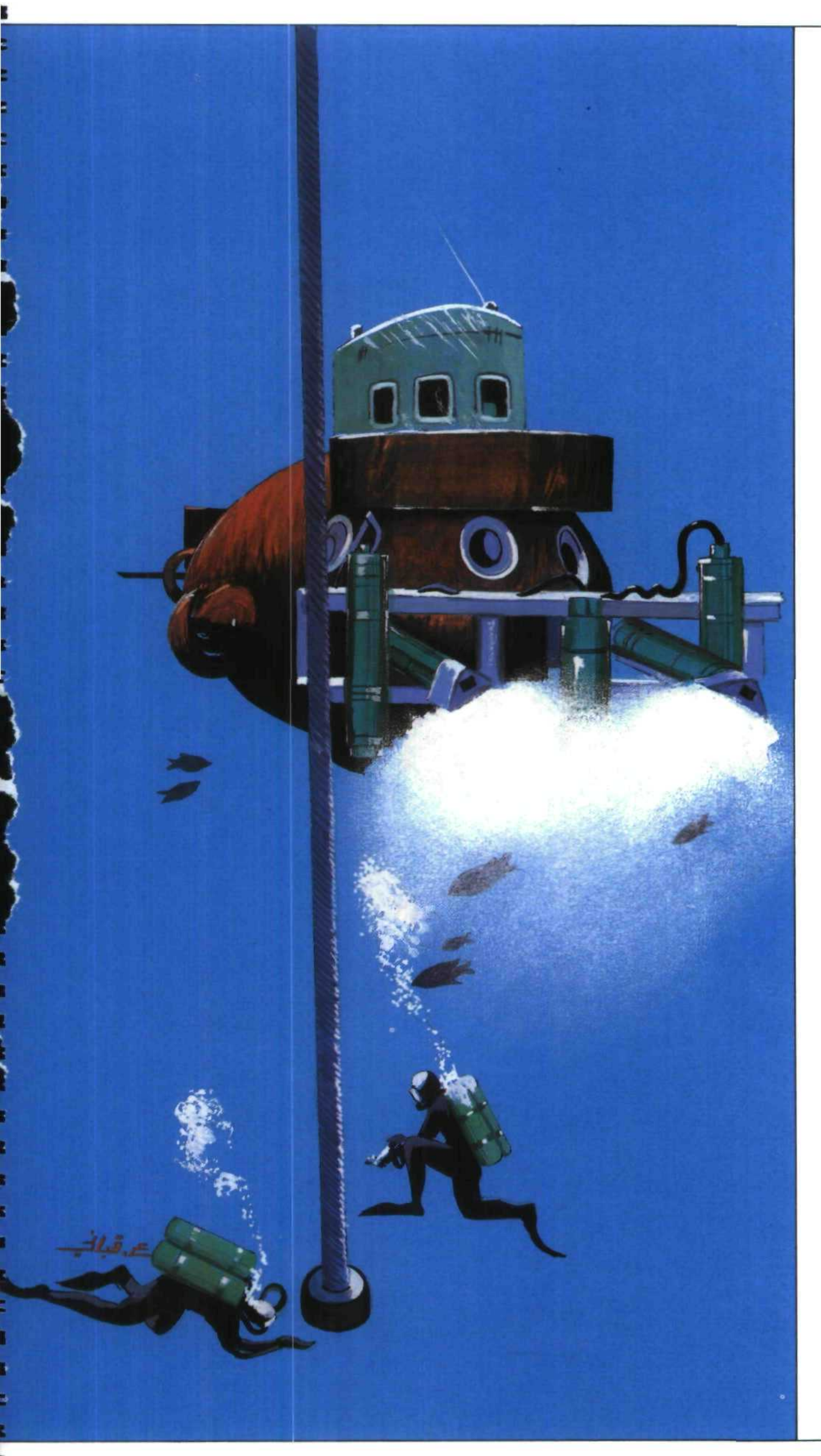
يدفعانه الى شحذ قواه والسعي لمزيد من المعرفة .

وانطلاقا من هذا القول فان علوم البحار بدأت تأخذ مكانتها اللائقة بين العلوم وصارت تؤسس لها المعاهد والكليات التي تتخصص في الأبحاث البحرية . ولكن على الرغم من كل هذا الاهتمام فلا يزال هناك الكثير من الأمور والحقائق البحرية التي لم تعرف ولم تفسر . والعالم اليوم والذي يسود كثير من أرجائه الفقر وشحّ الموارد بحاجة الى استغلال خيرات البحار لمد السكان ببعض حاجتهم من الطعام .

وفي البحار موارد هائلة سواء ما كان منها للغذاء أو يستخدم للصناعة . ويكفي ان نضرب مثلا واحدا ، فقد قال أحد خبراء علم البحار بأن حوالي ٤٩٠ بليون رطل من الأسماك يمكن ان تصاد كل عام من البحار دون ان يلحق هذا اي ضرر بالثروة السمكية . وهذا الرقم يساوي خمسة أضعاف ما يصطاده الانسان من الاسماك في كل عام . وحتى نتمكن من زيادة محصول الصيد البحري لا بد من تطوير وسائل الصيد وتحسينها ، وهذا يتطلب معرفة الاحوال التي تساعد على تكاثر الأسماك ووجودها في مكان دون غيره من الأمكنة . لقد سبق ان واجه الانسان مثل هذه المشكلة على الأرض اليابسة يوم ان كان اعتماده على محصول الارض ، فقد ارتقى بالفن الزراعي فكان الجزاء الوافي والربح الكافي .

وللبحر أهمية أخرى غير كونه مصدرا للغذاء ولكثير من الموارد الطبيعية ، منها أثره في الأحوال المناخية . وقد يستطيع الانسان في المستقبل السيطرة على الأحوال الجوية بعد ان يتمكن من كشف اسرار البحار . وربما بدا هذا القول للوهلة الأولى غريبا او بعيد المنال والتحقيق ، ولكن يجب ان نعلم بأنه لا شيء يستعصي على العلم . فهناك من العلماء من يؤمن بأن عملية نشوء أعاصير «الهيروكين ــ Hurricanes» ترتبط بحرارة سطح البحار العالية نسبيا . وبما انه يوجد الى القرب من الطبقة السطحية وتحتها مباشرة مورد او خزان للماء البارد ليس له حدود . فقد فكر هؤلاء العلماء في إمكان إنشاء مصدات Buffles للماء السفلي ، أو عمل خزانات تقام على القاع كي تجعل الماء البارد ينحرف الى أعلى ، وبذلك يمنع أسباب حدوث هذه الأعاصير المدمرة . وهناك أيضا مشروع هندسي يفكر فيه العلماء ويرمي الى سحب المياه السفلية الباردة الى الطبقات العلوية الدافئة عند الشواطىء الجنوبية للولايات المتحدة الامريكية . وهذا العمل يشبه حركات المياه الانقلابية التي تحدث طبيعيا ، وتساعد على تكاثر الاسماك ونموها . وهناك فكرة اخرى تهدف الى مبادلة التوازن الحراري في العروض الشمالية . وبهذه الطريقة يمكن إذابة الجليد السميك الذي يعيق الملاحة ويسبب الكثير من الكوارث البحرية .

وكما يتبارى علماء اليوم في إطالة مدة مكوث الانسان في الفضاء لكشف الكثير من اسراره وجمع الكثير من حقائقه فانهم يتسابقون ايضا من أجل بلوغ الحد الأقصى لبقاء الانسان في معامل داخل



اعماق البحار على امل ان يتخذ الانسان من البحار مساكن في المستقبل ... ألا ترى معي ان سباق البحار على فرسي رهان !؟ .

بداية البحث والمعرفة البحرية الحديثة

على الرغم من ان اهتمام الانسان بالبحر قديم جدا كما سبق أن ذكرنا ، إلا أن عصر الكشوف الجغرافية كان المنطلق الذي بدأ منه التسابق على البحار من اجل الوصول الى اراض جديدة ، ووضعها تحت السيطرة . وتمثلت بداية الاهتمام برسم الخرائط البحرية التي تبين الطرق والمسالك والتيارات . ولعلّ من أهم البعثات التي ارتادت البحر وحاولت رسم حدوده بعثة ماجلان في القرن الخامس عشر . فقد ارتاد ماجلان المحيط الهادي ودار حول الارض وأثبت كرويتها .

وفي سنة ١٤٩٢ استطاع كريستوفر كولمبوس الإبحار من اسبانيا متجها صوب الغرب حتى وصل جزر البهاما وهي بعض جزر الهند الغربية . وقد اعتقد كولومبوس انه وصل الهند ولم يكن يدري انه في العالم الجديد .

وفي سنة ١٤٩٧ أبحر فاسكودیجاما البرتغالي من لشبونة سالكا المحيط الأطلسي عبر رأس الرجاء الصالح ، وسار بمحاذاة الساحل الافريقي الشرقي ووصل الهند .

أما المكتشف « امريكو فسبوتشي » فقد أبحر من البرتغال في سنة ١٥٠٨ م ووصل الى شواطىء البرازيل ، وأدرك انها ليست الهند ولكنها أرضا جديدة . وتخليدا لذكراه وتكريما له ولأهمية كشوفاته سميت القارة باسمه .

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر نشطت المعرفة البحرية . ويمكننا تلخيصها على النحو التالي :

* في سنة ١٧٢٥ م قام « لويجي فرناندو مرسيلي » الهولندي بأول دراسة على خليج مرسيليا ، فقاس الأعماق ، وسجل درجات الحرارة والملوحة ، وتعرّف على طبيعة القاع .

ووضع نتائج بحثه في كتاب أسماه « التاريخ الطبيعي للبحر » .

* في سنة ١٧٢٨ م اكتشف الملاح الروسي « برنج » المضيق المعروف باسمه والذي يفصل بين قارة امريكا الشمالية وقارة آسيا .

* في الفترة ما بين سنة ١٧٦٩ م وسنة ١٧٧٢ م قام الملاح الإنجليزي الكابتن « جيمس كوك » ببعثة علمية حدد فيها معالم المحيط الهادي . وأثبت بأن القارة المتجمدة الجنوبية تقع في القطب الجنوبي .

* في سنة ١٧٧٠ م استطاع « بنيامين فرانكلين » عمل خريطة تبين موقع تيار الخليج وفائدته العظمى للمراكب الشراعية .

* اكتشف السير « جيمس كلارك روس » في الفترة ١٨٣٩ــ١٨٤٣ البحار القطبية ، واستطاع ان يقيس أعماق البحر الى عمق ٢٤٢٥ قامة.

* ولكن يمكننا القول بأن الاهتمام الجدي بالبحار والمحيطات بدأ في منتصف القرن الثامن عشر وذلك حينما عقد المؤتمر العالمي لقوى الملاحة البحرية بزعامة قائد الأسطول الامريكي آنـذاك « ماثيــو موري Mathew Maury » (١٨٠٦ــ١٨٧٣) . و قد ترتب على هذا المؤتمر فيما بعد جمع معلومات منظمة ومنسقة عن الرياح والتيارات البحرية لجميع العالم . وكان هذا بمثابة البداية لانشاء مكاتب ومحطات الأرصاد الجوية الحالية . وقد أدت هذه الخرائط الخاصة بالرياح والتيارات البحرية والتي رسمت من واقع المشاهدة والملاحظة الميدانية الى تقصير الخطوط الملاحية للسفن الشراعية بمقدار الثلث تقريبا ، كما جعلت الملاحة اكثر امنا . وبناء عليه يمكننا اعتبار « موري » مؤسس علم البحار . وقد ألف في هذا الموضوع كتابا بعنوان « الجغرافيا الطبيعية للبحر . وظل هذا الكتاب مرجعا لرجال البحر والمهتمين بالشؤون البحرية مدة طويلة من الزمن .



* ولعل من الذين درسوا البحار دراسة علمية عالم اسمه « ادوارد فوربز Forbes » (١٨١٥ ــ ١٨٥٩) ، وكان يهتم بدراسة الاحياء البحرية . وهو صاحب الرأي القائل بأنه لا توجد حياة في البحار دون مستوى عمق ٦٠٠ متر . وعلى الرغم من عدم صحة هذا الرأي إلا انه كان حافزا ودافعا للكثير من العلماء الذين كان هدفهم البحث والتحــري عن مــدى مصداقيته .

* أما « داروين » فقد كان أحد أعضاء بعثة السفينة « بيجـل Beagle » (١٨٣١ ــ ١٨٣٦) بصفته عالما طبيعيا . وقد كانت لملاحظاته ومشاهداته للحواف والجزر المرجانية أثر كبير في النظرية التي تبحث وتفسر أصل هذه الجزر وكيفية نشأتها . وقد قيل بأنه لو لم يشتهر « داروين » بنظريته الخاصة بأصل الأنواع والتي اطلق عليها اسم نظرية التطور لكان اشتهر بعمله من خلال أبحاثه الشهيرة عن الجزر المرجانية .

* وفي سنة ١٨١٥ تمكن عالم دانمركي يدعى « فورشهامر » من تحليل مياه البحار والمحيطات بدقة وفي مناطق محددة ، وتوصل الى معلومات وحقائق في غاية الأهمية ساعدت على تقدير ملوحة البحار والمحيطات والعوامل المؤثرة فيها .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين زاد الاهتمام بدراسة البحار والمحيطات . وفي هذه الفترة خصصت سفن خاصة لهذا الغرض وزودت بالمعدات والأجهزة اللازمة . وسنذكر أهم هذه السفن .

سَفينَة الأبحاث تشالنجر

وهي أول سفينة في العالم متخصصة قامت بعمليات بحث وتحريات واسعة ، ومنظمة لمياه البحار . ولذلك اعتبرها البعض البداية الحقيقية للدراسة الجدية لعلم البحار . وقد زودت هذه السفينة بكامل المعدات اللازمة لمثل هذا الغرض مع عدد كاف من العلماء وكان على رأسهم « ويفل طومسون Wyville Thomson » .

وقد أبحرت سفينة تشالنجر أي « التحدي » وهي سفينة بريطانية ، من ميناء بورتسموت في ٣١ ديسمبر ١٨٧٢ في رحلة استغرقت ثلاث سنوات ونصف قطعت خلالها حوالي ٦٩ ألف ميل بحري ، ووصلت حتى القارة القطبية الجنوبية . وعادت هذه البعثة في ٢ مايو ١٨٧٦ ، ومعها محصول وافر من المعلومات الجديدة والعيّنات البحرية من مختلف الاعماق . وكان أقصى عمق سجّلته للقاع بلغ ٤٤٧٥ قامة . وكان ذلك في خانق على القاع بجوار جزر ماريانا أو ماريناس في المحيط الهادي . وقامت السفينة ايضا برسم الكثير من خطوط الأعماق المتساوية للمحيطات .

. ولعل أهم ما توصّلت اليه بعثة هذه السفينة إثبات ان درجة الحرارة تصبح ثابتة بعد عمق ٣٠٠٠ متر . حيث تبلغ ٢ درجة مئوية بصرف النظر عن الموقع الجغرافي . ومن أهم نتائج اكتشاف هذه البعثة التوصل الى معرفة طبيعة قاع البحر ، فقد تبين بأن تضاريس القاع العميق في المحيط الاطلسي على شكل سلسلة فقرية تمتد من جزيرة آيسلندة شمالا وحتى جزر « بوفيه » على خط عرض ٥٥ درجة جنوبا تقريبا . وهذه السلسلة تقسم المحيط الاطلسي الى قسمين شرقي وغربي .

وقد نشرت بعثة تشالنجر أعمالها في تقرير يتألف من خمسين مجلدا كان له اكبر الاثر في تطور علم البحار . ولا يزال هذا التقرير يعتبر مصدرا هاما وقيّما لرجال البحر وعلمائه . ويعود الفضل في قسم كبير من هذا العمل الى السير « جون موري » الذي اشرف على البعثة بعد وفاة « طومسون » . وقد قام « موري » بدراسة نحو ١٢ ألف عيّنة كانت البعثة قد جمعتها من رواسب القاع ، ورسم خريطة ، توضح توزيعها على قيعان البحار والمحيطات المختلفة . كما قام بعمل تصنيف لأنواع الرواسب البحرية تبعاً لأحجامها وخواصها الطبيعية والكيماوية .

السَفينَة فرَام

السفينة « فرام Fram » نرويجية ، وصلت الى القطب الجنوبي لأول مرة في سنة ١٩١٢ ، ورفعت العلم النرويجي هناك . وقد كشفت هذه السفينة كثيرا من جهات القطب الشمالي . وكان على متنها عالم الحيوان المشهور « نانسن Nansen » الذي كان أول شخص يعبر الغطاء الجليدي لجزيرة جرينلند . وكان أيضا أول شخص اقترب من القطب الشمالي بنحو ٣٧٥ ميلا . والى هذا العالم يرجع الفضل في ابتكار الانبوبة التي سميت باسمه ، والتي يستعملها رجال البحر من أجل أخذ عينات مياه الأعماق بغية فحصها ومعرفة مكوّناتها ومحتوياتها من الأملاح ومقارنتها بمياه السطح .

سَفينَة الأبحاث الملكيَة البريطانية

وقد اطلق على هذه السفينة اسم « الاكتشاف Discovery » وقد دشّنت في سنة ١٩٢٩ وقامت بست رحلات الى قارة القطب الجنوبي ووصلت الى حافة الجليد في الشتاء والصيف حتى بحر « روس Ross » وبحر « ويدل Wedell » وبحر « بلنجزهوزن Bellingshausen » .

سَفينَة الابحاث اتلانتس

أتلانتس Atlantis سفينة أبحاث أمريكية قطعت أكثر من مليون وربع المليون ميل وهذا يوازي الدوران حول الأرض بمقدار خمسين مرة . وقد دشنت في سنة ١٩٣١ ، واستخدمت هذه السفينة بشكل مكثف ومنظم لدراسة تيار الخليج وكذلك النصف الغربي من شمال المحيط الأطلسي ، والبحر الكاريبي ، وخليج المكسيك ، والبحر المتوسط ، ومياه شواطىء افريقيا وامريكا الجنوبية وتيار بيرو ومساره واتجاهاته .

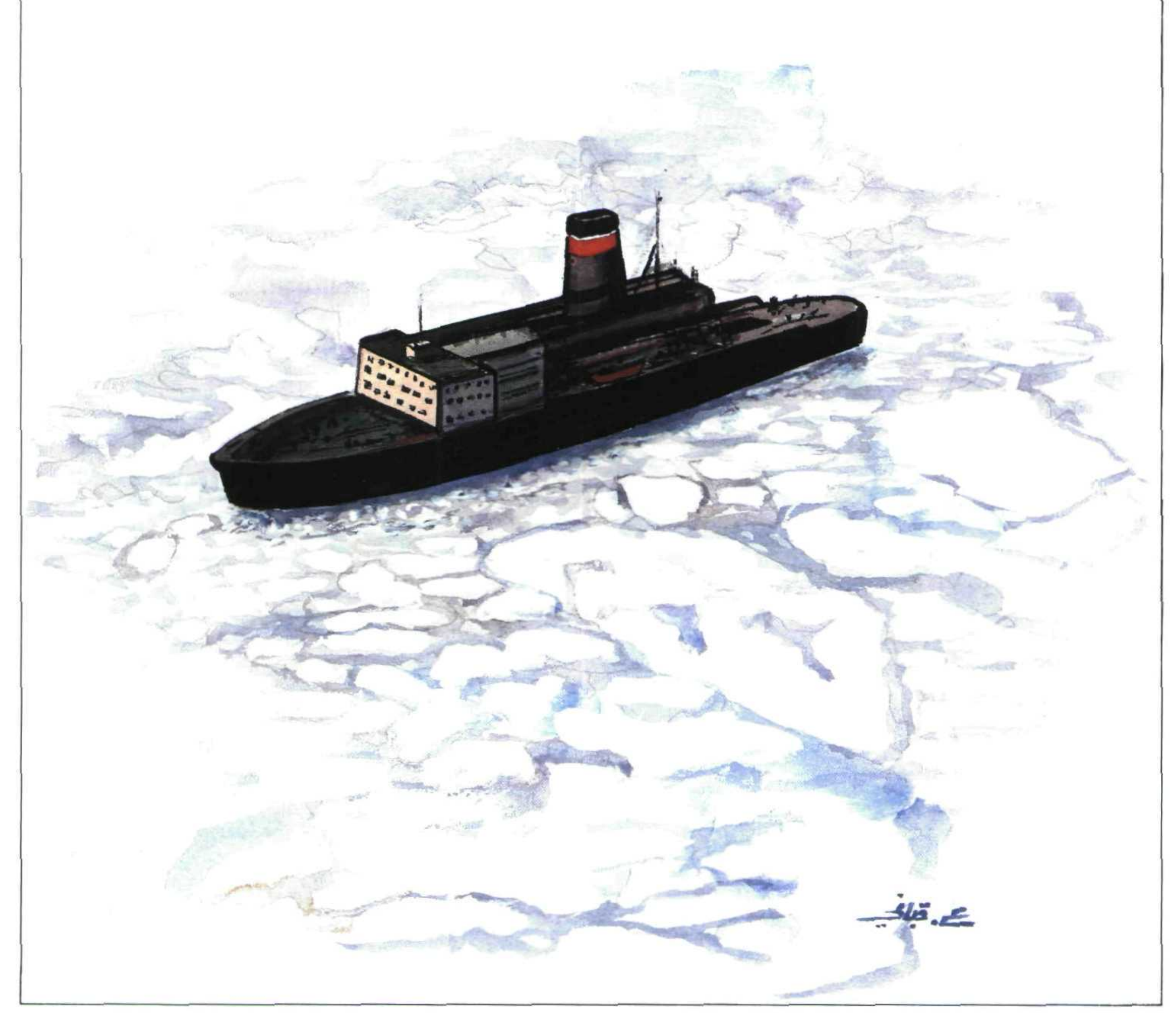
وفي منتصف القرن العشرين عقد مؤتمر السنة الجغرافية الدولية وذلك في يونيو ١٩٥٧ وحتى ديسمبر ١٩٥٨ ، وكان لعلم البحار في هذا المؤتمر نصيب كبير ، فقد أعطيت لهذا العلم أهمية خاصة وكان الهدف دراسة القارة القطبية الجنوبية . ومن النتائج التي حصل عليها العلماء من دراساتهم في علوم البحار والمحيطات خلال السنة المذكورة ما يلي :

* اكتشاف تيارات سفلية هامة في اتجاه مضاد للتيارات السطحية ، واحد منها يقع تحت تيار الخليج في المحيط الأطلسي والآخران في المحيط الهادي .

* اكتشاف ثروات معدنية في قاع البحر منها المنجنيز والكوبلت والنيكل . كما اكتشفت سلاسل جبلية جديدة على القاع في وسط المحيط الهادي ، وفي المحيط القطبي الشمالي .

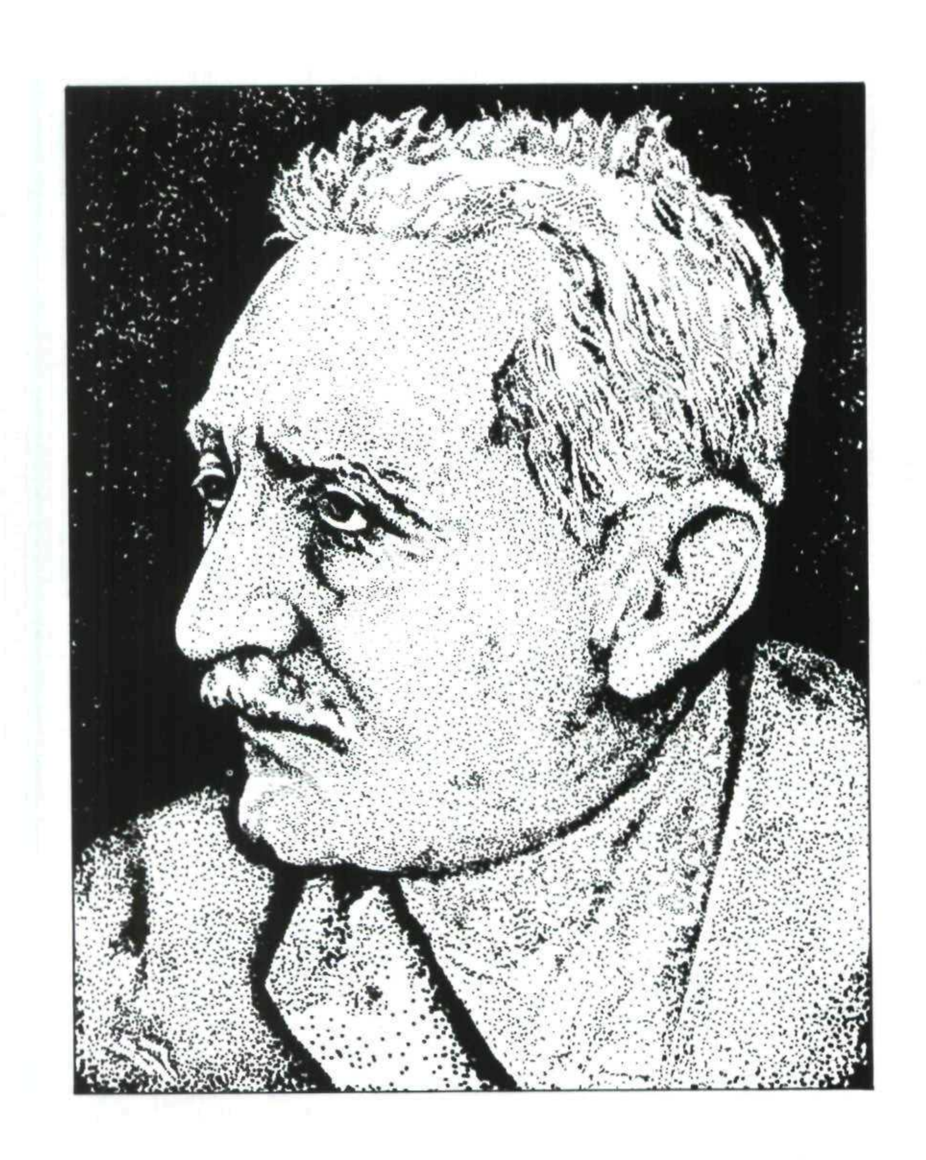
* تبين ان القارة المتجمدة الجنوبية تتألف من سلاسل جبلية وجزر بعضها مغمور تحت سطح البحر وبعضها قائم فوقه . وتغطي هذا التضاريس طبقة من الجليد سمكها يبلغ نحو أربعة كيلومترات في المتوسط . ولو قدر لهذه الكتلة الجليدية ان تذوب لارتفع مستوى منسوب البحر بنحو ٦٥ مترا واغرقت المياه الكثير من الشواطىء البحرية وغمرت مدنا وقرى ساحلية .

وعلى الرغم من هذه الدراسات والأبحاث الهامة التي أفادت الانسان وحققت للبشرية الكثير من الفوائد إلا أن هناك الكثير من الحقائق لا تزال يخفيها البحر في جوفه وفي قيعانه . والتوصل اليها يتطلب من الانسان مزيدا من الكشف والبحث والدراسة ويحتاج الى تعاون أمم العالم وشعوبه في هذا المضمار بدلا من التنافس في ميادين الشر والدمار والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** ﴾ □



الإنسان في فكر العقاد

بقلم : أحمد عبدالرحيم السايح / القاهرة



الانسان هو الموجود الذي لا وصف له سوى أنه لا يوصف . إنه الموجود الذي يفلت من كل تحديد ، ويخرج من كل قاعدة ، ويند عن كل تعريف ، انه الموجود الذي لا يفتأ يعيد النظر في كل شيء ، ولا يكاد ينتهي حتى يبدأ من جديد ..

انه مشكلة لأنه الموجود المتناقض الذي حار في وصفه الفلاسفة فقالوا في تعريفه : إنه حيوان ناطق ، أو حيوان صانع ، أو حيوان مدني ، أو حيوان متدين ، أو حيوان ميتا فيزيقي[١] ..

ومنذ طوالع هذا العصر ، ونحن نرى العالم الغربي يبذل قصارى جهده لاعادة النظر في تصوره عن الانسان ، او لتقويم هذا التصور من جديد في ضوء علوم العصور وفلسفاته حفاظا على القيمة الانسانية من ناحية ، ومواكبة لانجازات المدنية الغربية من ناحية أخرى .

ولقد تميز هذا العصر بحاجة الناس الى « نظرية انسانية » عامة ، أو الى وجهة نظر شاملة في الانسان[٢] .

وقد ظهرت اتجاهات تطالب بالعودة الى الذات المفكرة ، بل الى الذات الداخلية ، وتؤكد على ان الدين ليس احدى نتائج التطور التاريخي .. بل هو قانون سماوي يقرر مصير الانسان .. وتنادي بالنظر الى العلم ، لا من ناحية تطبيقاته العملية . ولكن من جهة دلالته الروحية ، وكيف انه ثمرة من ثمار العقل البشري ، ووسيلة يراد بها تحقيق السعادة للانسان[٣] .

إذن هناك جهد بالغ الأثر ، يبذله الفلاسفة ، وعلماء الاجتماع ، والسياسة والالهيات لاعادة النظر في تقرير تصورهم عن الانسان ومصيره[٤] .

أما في العالم الاسلامي ، فقد حدثت طوال القرن الرابع عشر الهجري محاولات ذات بال ، في سبيل إعادة تقرير ما يسلم به الاسلام من آراء أساسية في الكلام ، وفي الفلسفة ، غير ان هذه المحاولات اتجهت في الغالب اتجاهات عامة .

ومن المعروف ان البحث في الفكر على مستوى رفيع في العالم الاسلامي ، وقف فجأة بعد الغزالي « المتوفى عام ١١١١م » ..

وعلى الرغم من ان قدرا كبيرا من النشاط في الشرح والتعليق ، استمر بعد هذا الفيلسوف الكبير الا ان المفكرين ، كانوا يتبعون في تفكيرهم مدرسة من المدارس الفقهية أو الكلامية التي تأسست في القرون الثلاثة الأولى[٥] ..

وسار الأمر في التفكير الاسلامي على هذا النحو الى عصر ابن القيم وابن تيمية في القرن الرابع عشر الميلادي ، اللذين استخدما النقد العقلي في تقويم الافكار الاسلامية ، حول اصول الاسلام .

ومن ثم كان الطريق الذي سلكه هذان الرائدان ، تمهيدا للحركات الاسلامية العقلية ، التي جدت فيما بعد ، بحيث تعتبر هذه الحركات الاسلامية المعاصرة تطورا للعمل الفني الذي قام به هذان الرائدان .

وأهم هذه الحركات الاسلامية الأخيرة ، الدعوة الوهابية التي ظهرت في نجد في القرن الثامن عشر الميلادي ، بريادة محمد ابن عبدالوهاب والحركة السلفية التي ظهرت في مصر في القرن التاسع عشر على يد جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، والحركة العقلية التي ظهرت في الهند ، في القرن التاسع عشر ، بظهور مدرسة أحمد خان ، وهي المدرسة التي تزعمها من بعده محمد اقبال . ثم الحركة السنوسية التي ظهرت في برقة ، والتي قام بها ، ونشرها الجد الأكبر للملك ليبيا السابق ادريس السنوسي[٦] .

ومن أبرز الأسماء التي تطالعنا على رأس الفريق الآخر ، المصلح الفلسفي الامام محمد عبده صاحب « رسالة التوحيد » التي دعا فيها الى علم كلام جديد ، على أساس من الايقان بأن الدين لا يمكن ان يتعارض لا مع العلم ولا مع الفلسفة ، فالحق لا يضاد الحق ، ولا يعارضه[٧] ..

ويؤكد محمد عبده مسألة استقلال الارادة الانسانية عند حديثه عما درج عليه الغربيون من نسبة ما قد يوجد في البلاد الاسلامية — من أي تأخير أو جمود — الى العقيدة الراسخة في نفوس المسلمين ، في القانون الالهي ، أو القضاء الأزلي .

فيقرر في رسالة التوحيد : ان الانسان يدرك اعماله الاختيارية ، ويزن نتائجها بعقله ، ويقدرها بارادته ، ثم يصدرها بقوة ما فيه ، ويعد انكار شيء من ذلك مساويا لانكار وجوده في مجافاته لبداهة العقل[٨] .

وبعد الامام محمد عبده يجيء المفكر الاسلامي محمد اقبال ، صاحب كتاب «تجديد التفكير الديني في الاسلام »[٩] الذي حاول فيه ان يقرر « ميتافيزيقا » اسلامية جديدة ، مع العناية الواجبة بالتقاليد الفلسفية للاسلام ، وبالتطورات الجديدة في مختلف ميادين المعرفة الاسلامية .

فهو ينادي بالرجوع الى الدين الاسلامي الحنيف ، كما ينادي محمد عبده وهو يحارب التقليد ويدفع الباحثين الى الاستقلال في البحث ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ويؤكد مذهب حرية الاختيار للانسان[١٠] .

وفي تطوير وتقرير لآراء هذين المفكرَين في مذهب الانسان في الاسلام يجيء المفكر الاسلامي عباس محمود العقاد ، ليقوم بمحاولة تركيبية لوضع نظرية متكاملة عن الانسان في الاسلام ، تنبثق من تعاليم الدين الاسلامي ، ممثلة في كتاب الله ، وسنة رسوله ، وتنطلق في ضوء آراء العلماء ومذاهب الفكر الفلسفي

الحديث[١١] ، فالعالم الاسلامي في الوقت الحاضر يواجهه ، ويؤثر فيه نظامان عريضان من التفكير السياسي ، مؤسسان على نظريات كاملة في الانسان الا انها متعارضة . ولذا كان من الضروري ان يحلل مفكرو الاسلام تصوراتهم الأساسية الخاصة بهذه المسألة الجوهرية ، حتى لا تخدعهم الدعاية الماهرة لهذا الفريق او ذاك ، فيستسلموا من اجل غايات نفعية لطرائق من التفكير ومن التنظيم السياسي ، أجنبية عن تقاليدهم المقدسة لدينهم[٥] .

ولا يتعرض العالم الاسلامي لتيارات تأتيه من خارجه فحسب ، فان في داخله في العصر الحاضر شيعا وطوائف ، تنادي بآراء مختلفة ومناهج متباينة . وهذا من شأنه ان يضاعف من صعوبة أية محاولة تبذل لوضع نظرية في الانسان ، مستمدة من تعاليم الاسلام ، وصالحة في ذات الوقت للعالم الاسلامي خاصة في هذا العصر .. عصر الحياة على مبدأ وعقيدة . وما أكثر المبادىء والعقائد التي نسمع عنها في هذا القرن ، ويسمونها بالمذاهب والايديولوجيات والتي تطرح اسئلة لا مناص من الاجابة عليها والا كانت الحيرة التي تعصف بالابدان والعقول او بالأحرى بالانسان[١٣] .

والأسئلة عن الانسان لا جواب لها في غير « عقيدة دينية » تجمع للانسان صفوة عرفانه بدنياه وصفوة إيمانه بغيبها المجهول .. تجمع له زبدة الثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة .. حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان[١٤] .. هذه العقيدة الدينية — كما يقول العقاد — توجد كما ينبغي ان توجد وانما الضلالة فيمن يريدها على غير سوائها الذي تستقيم عليه ، ولا تستقيم على سواه[٣] .

ويؤكد العقاد على هذه الحقيقة بقوله : ان المنصف بين النصائح لا يستطيع ان ينصح لأهل القرآن بعقيدة في الانسان والانسانية أصح وأصلح من عقيدتهم التي يستوحونها من كتابهم .. وان القرن العشرين سينتهي بما استحدث من مبادىء ، ومذاهب وآيديولوجيات ، ولا ينتهي إلا ما تعلمه اهل القرآن من القرآن[١٦] .

وتأسيسا على ذلك نقول — ما قاله العقاد — من أن الانسان في عقيدة القرآن هو الخليفة المسؤول بين جميع ما خلق الله ، يدين بعقله فيما رأى وسمع ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب[١٧] .

والقرآن يدعم هذه الحقيقة بتقريره : ان الله خلق الانسان ليكون خليفته في الأرض وقد أقيم الانسان على الارض ليسيطر على سائر المخلوقات التي جعلت خاضعة لارادته .

أما مناط المسؤولية في القرآن ، فهو جامع لكل ركن من أركان هذه المسؤولية يتغلغل اليه فقه الباحثين عن حكمة التشريع الديني او التشريع في الموضوع . فهي بنصوص الكتاب قائمة على أركانها المجملة : تبليغ ، وعلم ، وعمل .. فلا تحق التبعة على أحد لم تبلغه الدعوة ، في مسائل الغيب ومسائل الايمان[١٨] .

قال تعالى : ﴿ **ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾[١٩] . أما العلم فان اول آية من الكتاب تلقاها صاحب الدعوة الاسلامية ، فكانت امرا بالقراءة ، وتنويها بعلم الله ، وعلم الانسان .. قال تعالى : ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم** ﴾[٢٠] .

وأول فاتحة في خلق الانسان كانت فاتحة العلم الذي تعلمه آدم ، وامتاز به على سائر المخلوقات ... ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾[٢١] .

وأما العمل فهو مشروط في القرآن بالتكليف الذي تسعه طاقة المكلف وبالسعي الذي يسعاه لربه ولنفسه ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾[٢٢] .

ومن المسؤولية الانسانية القائمة في القرآن على أركانها المجملة من تبليغ الى علم الى عمل .. ينتقل العقاد الى الكلام عن التكليف باعتباره الخاصة المحكمة التي ينفرد بها القرآن، بين سائر الأديان ، ومذاهب الفكر الفلسفي في وصفه للانسان بأنه : الكائن المكلف ..

لقد غاص العقاد في الأعماق ، وحلّق في الآفاق ، وأطل على الدنيا بنظرة تقول : « وأما تعريف الانسان بما وصف به القرآن الكريم واحاديث النبي عليه الصلاة والسّلام ، قد اجتمع جملة واحدة في تعريف جامع « الانسان مخلوق مكلف » [٢٣] .

وفي موضع آخر يؤكد هذا التعريف فيقول : « مكان الانسان في القرآن الكريم هو اشرف مكان له في ميزان العقيدة ، وفي ميزان الفكر ، وفي ميزان الخليقة ، الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات هو « الكائن المكلف »[٢٤] ، هو « كائن » أصوب في التعريف من قول القائلين : « الكائن الناطق » وذلك لأن الكائن الناطق ليس بشيء ، ان لم يكن هذا النطق أصلا لامانة التكليف انما الكائن المكلف — كما يقول العقاد — شيء محدود العقيدة او العلم او الحكمة[٢٥] .

وجماع ما يوصف به الانسان تميزا عن العجماوات ، وتمييزا من الأرواح العلوية على السواء ، انه مخلوق مكلف ولهذا كان في احسن تقويم ، ولهذا يرتد الى اسفل سافلين . وقوام التقويم الحسن : الايمان ، وعمل الصالحات .. وسبيل الارتداد الى اسفل سافلين مطاوعة الهوى والغرور ، والسرف وطغيان

الغنى ، ومنع الخير ، والهلع من البلاء والعجلة مع الضعف والاغراء .

وقصة آدم مثل لما يعرض للانسان من الخطيئة والنجاة .. خطيئة لا تدينه ابدا ، ولا تدين ابناءه أبدا .. ونجاته رهينة بتوبته ، وما ينتفع به من علم ربه[٢٦] .

هــذا العلم الذي استعد له الانسان هو مناط التكليف .. وهو مآل التبعة التي نهض بها هذا المخلوق المفضل على كثير من المخلوقات، الأمين على نفسه وعليها، بما وهب له الله من قدرة ومن دراية .

قال تعالى : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبَيْن أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا** ﴾[٢٧] . وهذا معناه ان الانسان وحده من بين سائر مخلوقات الله، هو الذي كان أهلا لامانة الخير والشر، أو لأمانة التكليف بما وهب من فطرة التكوين . والامانة هنا هي أمانة التكليف ، فالكائن المكلف من قبل الله ، هو الذي حمل الامانة .

الأمانة التي عرضت على الخلق عامة ، ولم يحملها احد من خلق الله وحملها الانسان وما كان ليحملها . الا ان يتعرض لتبعاتها . فهو ظلوم جهول . ظلوم لانه يتعدى الحدود وهو يعرفها وجهول لانه يتعدى تلك الحدود وهو يعلمها .. وعنده امانة العقل التي تهديه الى عملها ، وما من كائن غير الكائن العاقل ــ كما يقول العقاد ــ يوصف بالظلم والجهل ، لأن غير العاقل لا يعرف الحد الذي يتعداه ، ولا يطلب منه معرفة الحدود ، وانما يوصف بالظلم والجهل من يصح ان يوصف بالعدل والمعرفة، ومن يصح ان يسأل عن فعل يريده في الحالين[٢٧] .

ومعنى هذا ان الأمانة التي أبت الطبيعة ان تحملها ، وحملها الانسان ، تدل دلالة واضحة على الحرية الانسانية وهذا الفضل في الحرية هو نفسه الذي يسبب تردي الانسان وفي ضوء الحرية سر عظمة الانسان ، وخطيئته معا ، فلو لم يكن الانسان حرا ما ارتكب الخطيئة ولو لم يكن حرا ما ساغ أن يحمل الامانة[٢٨] .

إذن .. ما حدود العلاقة بين التكليف الالهي ، وبين الحرية الانسانية أو بالأحرى بين ارادة الله وحرية الانسان ؟[٢٩] .

غــير العقاد ان الطاعة والحرية شرطان من شروط التكليف[٣٠] .. ويرى : أن هذه بديهة يغفل عنها كثير من المجادلين في قضية القدر وفي قضية الايمان ، وفي قضية التكليف والجزاء .. ذلك لانهم يقصرون النظر على شرط الحرية ، دونما نظر الى شرط الطاعة . وكأنه مناقض للجزاء وكأنه من اللازم عقلا ان يكون الجزاء مقرونا بالحرية المطلقة . وتلك في ذاتها استحالة عقلية بكل احتمال يخطر على البال ..

فمن بحث عن الايمان بالتكليف غير ناظر الى شرط « الطاعة » فلا جرم يضل عنه ، لا ينتهي فيه الى قرار ، لأنه يبحث عن شيء آخر ، ولا يبحث عن التكليف ولا عن ايمان[٣١] ..

ويستند العقاد الى ان في القرآن خطاب متكرر الى العقل ، وبيان متكرر لحساب الانسان العاقل على الخير والشر ، مع اسناد الارادة اليه في استحقاقه للثواب والعقاب ..

وفيه آيات صريحة تسند الارادة الى الله ، وتقرر انه سبحانه وتعالى هو الخالق المقدر الذي يقدر الهداية والضلال ، ويعطي كل شيء خلقه ويهديه .. وهي آيات كثيرة مقصورة بالتكرار ، وان لم تبلغ في الكثرة عدد آيات الخطاب والتكليف ، وآيات التذكير بالعقل والنظر والتمييز والتفكير[٣٢] .

قال تعالى : ﴿ **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم** ﴾[٣٣] .

قال تعالى : ﴿ **فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة** ﴾[٣٤] .

قال تعالى : ﴿ **الذي خلق فسوَّى والذي قدَّر فهدىٰ** ﴾[٣٥] .

قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم** ﴾[٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾[٣٧] .

يقول العقاد بعد ان ذكر الآيات : وكثرة الآيات بهذا المعنى تبعد عن الذهن ان يكون فيها مجال للتأويل يغير معناها الظاهر ، على اختلاف العبارة والمناسبة ..

فمعناها الظاهر الذي لا تأويل فيه ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد الذي يخلق عباده ، ويخلق ما يعملون[٣٨] .

يقول العقاد : أفي هذا تناقض في حكم العقل اذا نظرنا الى الأمر كله نظرة المعقول ، ولم نقصر النظر الى النصوص ؟ أو الى واجب الاعتقاد بمقتضى هذه النصوص .. ؟ .

ان الرجوع بالقضية الى اسسها المحتملة على كل احتمال ينفي التناقض ، ويرينا كيف يكون هذا الاعتقاد « حلا للمشكلة » من أسسها المفروضة جميعا ، وخروجا من التناقض الذي يلزمها على كل احتمال غير هذا الاحتمال[٣٩] .

وليكن الانسان روحا وعقلا خلقه الله ، أو يكون تركيبا عارضا من تراكيب المادة لم يخلقه احد على قول المؤمنين بالمادة مجردة من الفكر والارادة . وليكن التكليف ارادة من عند الله ، أو يكن ضرورة من قضاء الواقع لا يرتبط بها امر ولا جزاء فكيف يتصور العقل ارادة الانسان على كل احتمال ؟ .

انه لا يتصورها ارادة مطلقة من جميع القيود ، لان ارادة انسان واحد تنطلق بغير قيد هي قيد على كل انسان سواه ..

وكيف يأتي هذا الانسان الواحد بارادته المطلقة منفردا بها بين أمثاله المقيدين ؟

اما ان يوجد الناس جميعا بارادة مطلقة لكل منهم على سواء . فهذه هي الاحالة العقلية في الفرض والتقدير .. قبل الوصول بها الى الايجاد والتحقيق .

فاذا كانت الارادة المطلقة هي ارادة الله ، فخلق الناس مكلفين بغير ارادة لهم . شيء غير معقول وغير مقبول ..

لأن سقوط التكليف لا معنى له في هذه الحالة . إلا أن يخلق الناس جميعا متشابهين متماثلين متساويـــن في العمل الصالح الذي يساقون اليه ، كما تساق الآلات .

فلا فضل اذن للعاقل على غير العاقل ، ولا تمييز للانسان على الجماد المجرد من الحس فضلا عن الحيوان ..

فاذا وجب تكليف الانسان ، **فالعقل الانساني** لا يوجبه إلا كما ينبغي ان يوجب على حالة واحـــدة لا سواهـــا .. وهي حالة الارادة المخلوقة ، يودعها فيه الخالق كما ينبغي ان تودع ، وهي لا ينبغي ان تودع الا على هذا الغرض الذي يدعو اليه القرآن[٤٠] .. وعلى ذلك فاذا وجدنا في القرآن الكريم آيات صريحة تؤيد كلا الأمرين كما في قوله تعالى : ﴿ **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم** ﴾[٤١] .

وقوله تعالى : ﴿ **قل يـٰأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل** ﴾[٤٢] .

إذا وجدنا مثل هذه الآيات فلا ينبغي ان نظنّ في الأمر شبهة تناقض أو تعارض وانما الذي ينبغي ان نوقن به ـــ كما يقول المستشرق هارولد ب. سميث في مؤتمر برنستون[٤٣] .. انه حيث يكون الاهتمام موجها الى الله . فان سلطانه المطلق الكامل يكون موضع تأكيد .

وفي هذا السياق تعتبر اعمال البشر خيرها وشرها على السواء ، مسببة عن الارادة الالهية مباشرة .. إذ انه لا يحدث شيء ما لم يرده الله أو يأذن به .

وإن مشيئة الله الأزلية الأبدية لتنفذ حتى في مسائل الاعتقاد وعدمه .. فيهدي قوم الى الايمان ويوجه آخرون الى الضلال .

وإن إرادة الله هي العليا ، فهو يهدي من يشاء الى الصراط المستقيم ويصرف من يشاء الى سبيل الكفر والضلال . هذا حين يكون الاهتمام موجها الى الله .. فأما حين يحول الاهتمام الى الانسان فان التأكيد ينصب على ان الانسان قد وهب الله له الحرية والمسؤولية الاخلاقية .

والله يرشد الانسان عن طريق الوحـي الى مباديء اخلاقية عامة ، منبعثة من ارادته . الا ان في انسان قوة كامنة . اذ ان في استطاعته ان يتقبل هدى الله ، أو يتحول عنه[٤٤] .

وهنا يحق عليه العقاب ، كما يحق له الثواب .. وتلك هي الحرية الانسانية أو حرية الارادة لدى الانسان . والباحث يلاحظ ان هناك محوران دار حولهما الفكر الفلسفي الحديث وهما : الحرية ، والعقل . اما الحرية فلا تكون الا فكاكا من قيود .. وأما العقل فلا يكون الا التزاما للقواعد والقيود . فكيف يكون الجمع بين فكاك لحرية وانطلاقها ؟ وقيود العقل وقعوده ؟ وذلك هو السؤال الذي يحاول الفكر الفلسفي في نصف القرن الأخير أن يجيب عنه .. حتى ليجوز لنا ان نقول انه اذا كان أسلافنا الفلاسفة المسلمون قد جعلوا محور نشاطهم ان يوفقوا بين العقل والنقل ، فمحور النشاط في العصر الحديث هو التوفيق بين العقل والحرية ، بحيث يجيء الفعل حرا وعاقلا في آن معا[٤٥] .

ومن ثم كانت الحرية والعقل معا هما المحورين الرئيسيين اللذين أدرنا عليهما كل نشاطنا الفكري في الأعوام التي انقضت من هذا القرن ، بل وقبل ذلك بقليل ..

وكان العقاد في مقدمة الطليعة التي أضاءت سراج الفكرتين معا[٤٦] ..

على ان الفكرتين تلتقيان على يديه التقاء يجعل تصورنا لاحداهما امرا محالا بغير تصور الأخرى .. فمن آراء العقاد التي أشاعها في كل ما كتب او نظم ان الحياة بأسرها عمل فني ، تسوده الأصول نفسها التي تسود الأعمال الفنية جميعا على اختلافها .

وعلى هذا المعنى ، فلنفهم الضّرورات والقوانين ، فما الضرورات والقوانين الا الشكل الذي تحصر فيه الحياة عند صبها ، وصياغتها ليكون لها حيز محدود في هذا الوجود ، ولتسلم من العدم المطلوب الذي تصير بها الفوضى اليه . والا فتصور عالما لا موانع فيه ولا اثقال ثم انظر : ماذا لعله يكون ؟ انه لا يكون الا فضاء بغير فاصل ، أو هيولي بغير تكوين .. فلنعلم كيف نحمل الحياة بقيودها ونجري بها كأنها لا تعرفنا عن بلوغ ما نريد[٤٨] .

ويعقّب الدكتور زكي نجيب محمود على هذا بقوله : هكذا تلتقي الحرية والقيد في كيان واحد عند العقاد حتى ليرى الحياة في الكائن الحي مجموعة قيود ، لكنها ليست القيود التي تكبل النفس المحبة الواثبة النابضة بل هي القيود التي تنظم الوثب والطيران (٣) .

ولكن هل هذه الحرية الانسانية حرية مخلوقة ام هي حرية مطبوعة ؟

وكائناً ما كانت هذه الحرية . فهل يتماثل حكم العقل فيها مع حكم الايمان ؟

والواقع ان هذه القضية لها جذورها الممتدة في تراث الفكر الاسلامي ، وقد برزت قضية العلاقة بين ارادة الله ، وحرية الانسان ، أو بين مشيئة المطلق ، ومشيئة المقيد ، فالمطلق الذي هو الله ارادة غير محدودة ، وقدرة لا نهاية لها والمقيد الذي هو الانسان ارادة حادثة وقدرة محدودة والذي يترتب على ذلك هو وجود مسؤولية ما تتدخل في الحد من الحرية بمعنى ان الانسان مسؤول بقدر ما أتيح له من حرية . وبما ان الحرية بهذه الكيفية محدودة ، فالمسؤولية يجب ان تكون بدورها محدودة ..

ويقرر العقاد : ان ليس في العقل شيء يسمى حرية مطبوعة تعلو على الحرية المخلوقة بالانطلاق من جميع القيود لان الانطلاق من جميع القيود غير معقول ، وغير موجود (٥٠) .

واذا وجدت للمخلوقات العاقلة حرية ، أو وجدت لها ارادة ، فلنرجع الى العقل لنرى كيف يتصورها العقل — أي عقل — وكيف تكون على احتمال واحد دون كل احتمال ..

انها لا تكون سواء في كل انسان ، لانها اذا امتنع فيها خلاف القوة لم يمتنع فيها خلاف الزمن والعمر ، ولا خلاف المكان والجسد ، ولا خلاف الصغر والكبر ، ولا خلاف الحركة والجمود . واذا امتنع فيها كل هذا الخلاف فليست هي بشيء ، اذ ليست الموجودات التي لم تتمايز ، ولم تتنوع بأشياء يقبلها التصور . بل هي عدم ينقطع عن الوجود ، أو كائن لا تمييز فيه ولا تكليف ، ولا حسنة ولا سيئة ولا ثواب ولا عقاب .. فاذا وجد المخلوق حرا ، ذا ارادة ، فلا وجود له إلا بهذا الاختلاف في حكم العقل كيفما كان حكم النصوص .. واذا قضى العقل بهذا دون سواه ، فالعقل يتصور ارادة الله ، وارادة الانسان على احتمال واحد دون سواه .. وحكم الايمان هنا ، وحكم العقل متماثلان . اذ كان كل ما عدا حرية « الايمان » فرضا غير معقول بل غير موجود (٥١) .

واستخلاصا للنتائج من مقدماتها ، يذهب العقاد الى ان العقل الذي يزيد عليه الايمان هو العقل الذي خاطبه القرآن بالتكليف ..

ولا يعرف عقل الانسان تكليفا غير التكليف الذي بسّطته نصوص القرآن ، فلا معنى للتكليف اصلا ان لم تكن فيه طاعة وحرية ، ولا معنى للحرية بدون ارادة الخالق ، وارادة المخلوق (٥٢) .

ولما كانت ارادة الله هي الموجودة للبشر اجمعين ، فقد ترتب على هذا انه لا يفضل انسان انسانا بشرف مولده ، ولا بنوع عمله ، ولا بجاهه في قومه ، فالاقرار بالمساواة الكاملة بين البشر باعتبارهم من خلق الله ، امر من الامور الأساسية في الاسلام وليس في الاسلام طبقات خاصة ، ولا جماعات ممتازة ولا أمم مختارة إذ أن البشر جميعا في أصلهم أمة واحدة .

والطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الناس ان يصنفوا انفسهم ، هي نوع استجابتهم لله ، وهي قبول هدى الله ، أو الخروج عن طاعته .. وهو المبدأ الذي تضمنته الأصول النظرية لشعائر الاسلام التي استهدفت ان يكون الناس جميعا سواسية امام الله (٥٣) .

ويذهب العقاد الى ان تعدد الشعوب والقبائل واختلاف اللغات والألوان من أقوى الأسباب لاحكام صلة التعارف بينها ، وتعريف الانسانية كلها بأسرار خلقها .

ان هـذه الوحدة في صلة الانسان بالانسان — كما يقرر العقاد — مشدودة الأزر بالوحدة بين الناس كافة في الصلة بالله ربهم ورب العالمين ، الذي يسوي بينهم ، ويدينهم بالرحمة والانصاف ثم لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه إلا بقسطاس العدل . أيهم أحسن عملا وأقرب الى التقوى ، واستباقا للخيرات (٥٤) .

واذا كان عصرنا هو عصر العلاقات العالمية الذي لا يتطلب مواطنا أصح وأصلح من الانسان الذي يوقن بالأسرة الانسانية .. فعند العقاد ان هذا العصر لا تسعده عقيدة أخرى أصح له ، وأصلح من عقيدة القرآن الكريم .

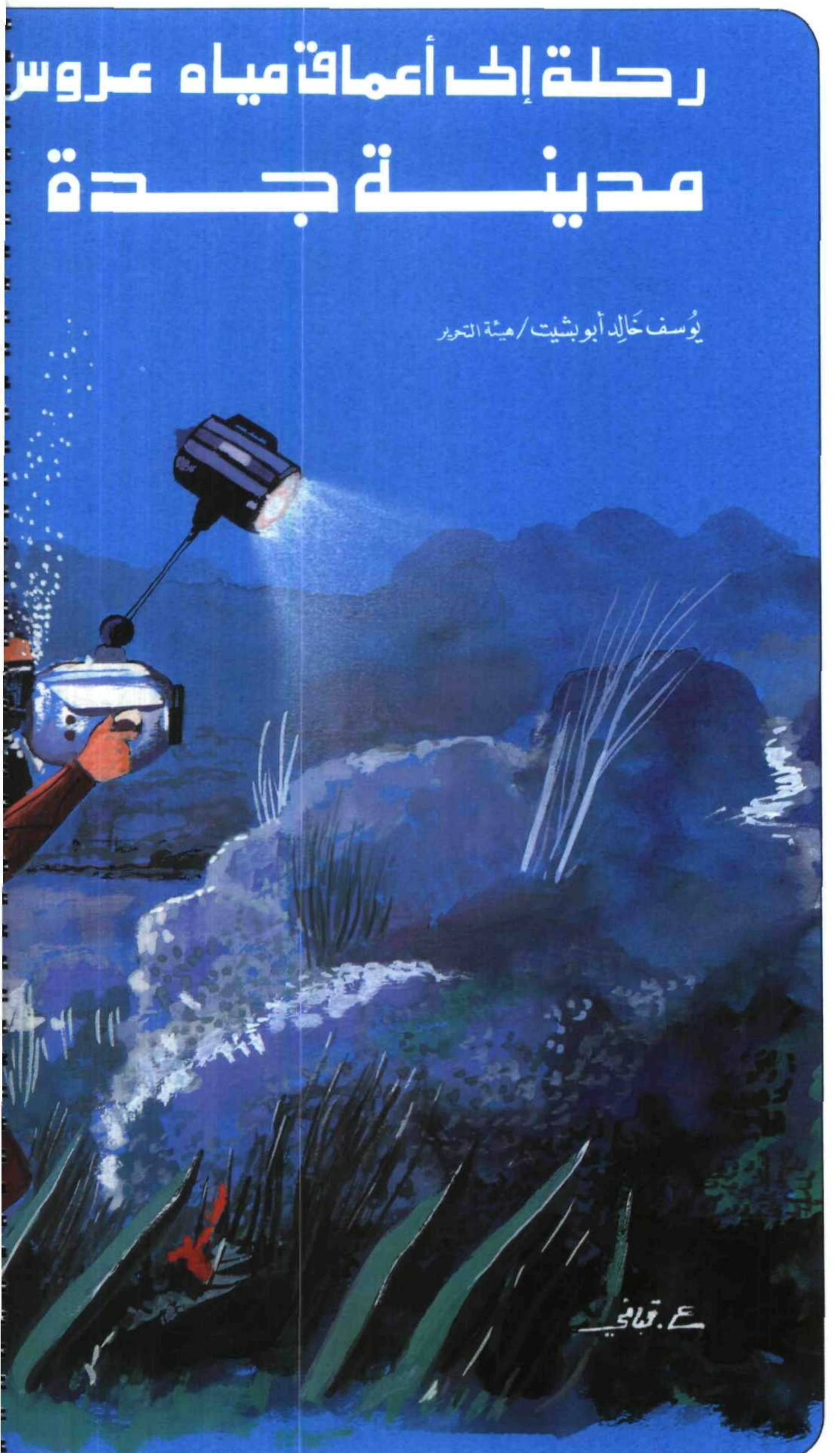
واذا كان عصرنا هو عصر الوحدة الانسانية من ايمان برب واحد للعالمين وبنبوءة تختم النبوات . فان القرآن الكريم يعطي — كما يقول العقاد — انسانه الذي ليس من انسان اصح منه واصلح لهذا العصر (٥٥) .

ولكن ما العالم الانساني ؟ وما الانسانية الواحدة ؟

عند العقاد : ان العالم الانساني كلمة غير مفهومة عند من يدين برب غير رب العالمين وان قيم الاخلاق تصبح بلا قيمة ، ولا معنى حين تنقطع الاسباب بين الحسنات والسيئات وبين الثواب والعقاب .. وان الانسانية الجامعة شيء لا وجود له قبل ان يوجد الانسان المسؤول . وعلى ذلك فالانسانية الواحدة انما توجد حين يتساوى الانسان والانسان امام الاله الواحد الاحد رب الناس ورب العالمين . □

رحلة إلى أعماق مياه عروس مدينة جدة

يوسف خالد أبوبشيت / هيئة التحرير



من منا أقام ، أو مر مرور الكرام ، بمدينة جدة ولم يعجب بتلك المدينة ، الثغر ، التي تربعت على جزء من شواطيء البحر الأحمر ، وقد جمعت بين أصالة الماضي وروعة الحاضر .

وكان بحر مدينة جدة ، ومازال ، من السمات البارزة المميزة لها ... كيف لا ، وقد استكان للصيادين ، ومهد لهم سبل الوصول الى احيائه البحرية ، واستمع الى نغمات مزامير شبان مدينة جدة شاهدا ومشاركا افراحهم ولياليهم الملاح .

وقبل ان نقوم بجولتنا تحت سطح بحر هذه المدينة ، نقرأ قليلا في كتاب « عروس البحر » للشاعر الراحل احمد قنديل ، لنتتبع عن كثب مدى علاقة البحر بمدينة جدة :

هل شفت جدة .. جنب البحر راقصة
على الرمـال .. باشراق .. وتعبير ؟؟
كأنها .. وعذارى الحور طفن بها ..
يعربن .. باللحظ .. عن حـب وتقديـر
عروسة البحر .. من أعماقه طلعت
تـروي الحكايـة عن أحلـى الأسـاطير

وهو القائل عن بحر جـــدة :

والبحر أصبح ديكورا لها ــ وبها ..
تعانقـا فيـه : مسحـورا بمسحـور
غـنى بموجاته بالقـلب .. ذائبـة ..
في سمعهـا .. نغمـات من مزامـير

ومن مدينة جدة ننتقل سوية في رحلة الى أعماق بحرها لنستطلع بعض كنوزه وجمال طبيعته التي تظللها مياه البحر الاحمر ذات الشعاب المرجانية .

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى على الشاطيء الغربي من المملكة العربية السعودية بجيد بحـــري مرجاني (سلسلة صخور مرجانية قرب سطح الماء) ، يزخر بأنواع مختلفة وعجيبة من الاحياء



البحرية ، استقطبت انتباه عدد كبير من المواطنين والوافدين ، وذلك لاكتشاف جمال الطبيعة التي تتمتع بها مياه البحر الأحمر . وإذا ما شئنا الحديث عن هؤلاء المرتادين للبحر الاحمر ، فانه يمكننا تقسيمهم الى ثلاث فئات : فئة يحدوها حب المغامرة ، بعد ان وجدت ممرات مائية سهلة تمهد لها الوصول الى الفجوات المتناثرة تحت سطح الماء ، حيث يوجد حطام لسفن غارقة ، واعداد كبيرة من اسماك القرش ، ومخلوقات بحرية اخرى مختلفة . وفئة أقل حماسا من سابقتها ، تقضي وقتها في اكتساب مهارات رياضية جديدة . اما الفئة الأخيرة ، فانها ترتاد شاطيء البحر للترويح عن النفس من متاعب الحياة اليومية وتزجية الوقت بالاستمتاع بجمال البحر . وفي هذا الشأن تحدث الينا احد رواد الفئة الاولى ، ويدعى جي.اي.بارال ، مدير محلات رياضة الغواصين ، فقال : « يعتبر كورنيش مدينة جدة من افضل الأماكن في المنطقة لمزاولة هواية الغطس . كما تعتبر مدينة جدة المدينة الوحيدة في العالم التي يمكن لهواة الغطس مزاولة هوايتهم خلال فترة الظهيرة من كل يوم » .

ومن جانب آخر ، فان القيام برحلة بحرية على ظهر قارب في منطقة « أبحر » في جدة تعتبر ممتعة وذات فائدة كبيرة ، وجديرة بقضاء سويعات جميلة ، لا سيما عندما يأخذنا القارب الى المياه الزبرجدية ، حيث يوجد الحيد البحري الممتدة مسافته ما بين خمسة الى خمسة وعشرين كيلومترا . وعندما يصل القارب الى منطقة المياه الخارجية للحيد البحري فان المياه هناك يغلب عليها اللون الداكن المائل الى الزرقة . ثم تتحول تدريجيا الى اللون الأخضر الفاتح كلما اقتربت التكوينات المرجانية من سطح الماء .

ورويداً رويداً ، يبتعد قاربنا عن الشاطىء ، تاركا وراءه ضجيج المدينة يسير الهوينا مداعبا أمواج البحر الاحمر .

وبينما نحن نتأمل بعض المخلوقات البحرية ، كأسراب السمك الطيار والسلاحف ، إذ بكوكبة من الدلفين تقفز أمامنا ، بين الحين والآخر . وبعد الظهيرة تهب على مياه البحر الاحمر رياح نشطة ، تضطرب على اثرها مياه البحر ، الا ان ذلك لا يلبث ان يتلاشى تدريجيا وقت الغروب ويصبح الهواء منعشا والمياه هادئة .

وحين تجنح الشمس الى خدرها ، ويرخي الليل سدوله ، يحلو لهواة صيد السمك ممارسة هوايتهم على أضواء المصابيح الموجهة الى سطح الماء ، وذلك لاجتذاب اكبر كمية ممكنة من العوالق (كائنات حيوانية صغيرة او نباتات متناهية الصغر طافية على المياه) التي تقتات عليها الاسماك الصغيرة . وبطبيعة الحال ، فان هذا الأمر يغري الأسماك الكبيرة لافتراس الأسماك الصغيرة المتجمعة حول بقعة الضوء . وهنا يأتي دور الصيادين لاصطياد السمك الكبير كأسماك القرش والتونة وغيرها .

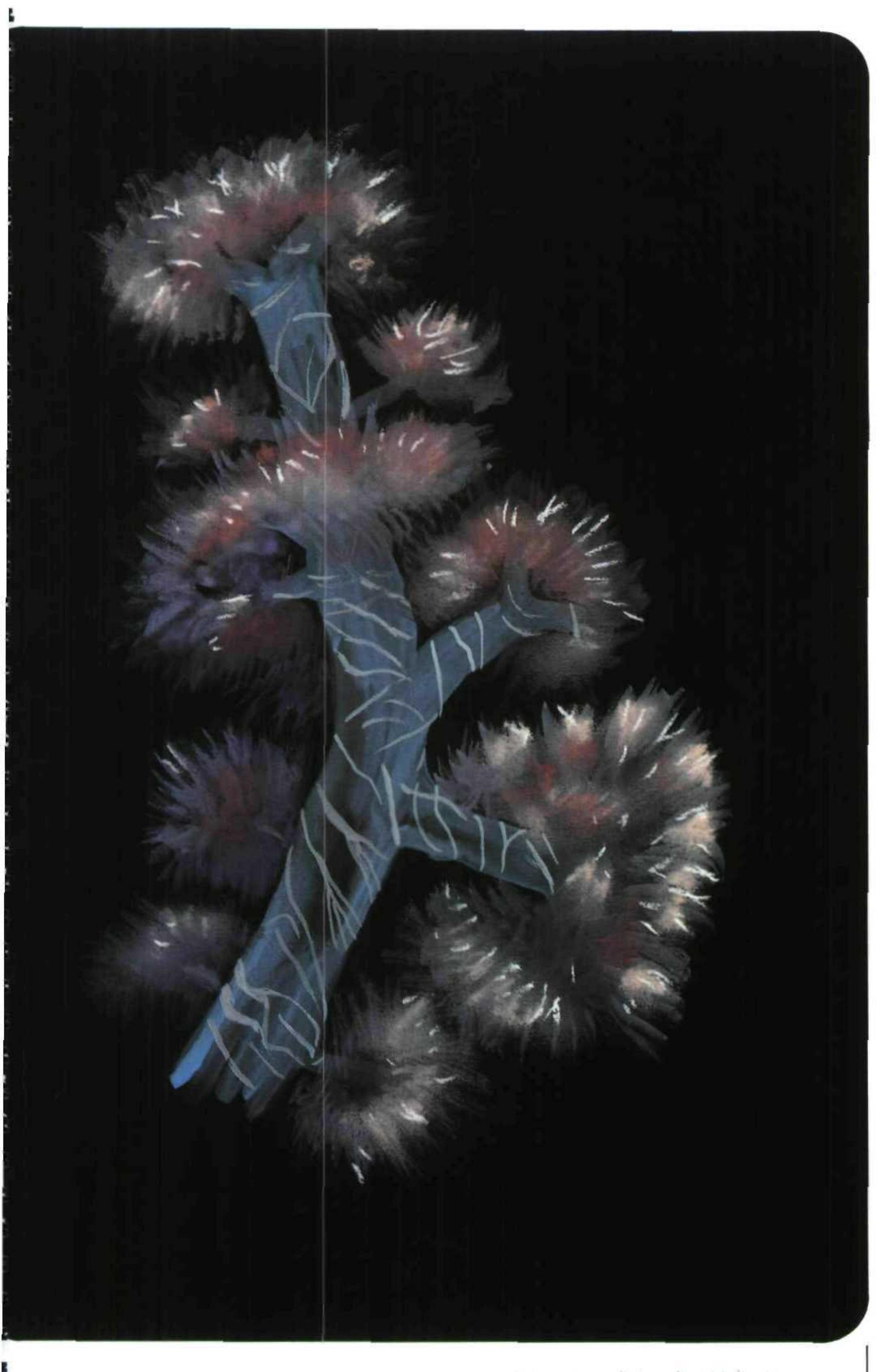
وبعد ان تنقشع ظلمة الليل ، ويشع النور في مختلف الانحاء ، يستطيع المتنزه على القارب ، ان يرى بأم عينه قاع وبرك الحيد البحري وقد بدت صافية تحت سطح الماء ، وازدانت بأرضية رملية ، أضفت عليها ألوان الماء الخضر روعة وبهاء . ومن جانب آخر ، فان المياه الدافئة والمنسابة عبر أنظمة الحيد البحري ، تختلط ، في طبقات متعددة ، مع المياه الباردة المندفعة بسرعة من المنحدر العمودي في نهاية الحيد البحري . وعلى الرغم من ذلك فان المياه تظل صافية نقية يمكن من خلالها الرؤية الى مسافة عشرين مترا حيث يوجد القاع ، والذي لو وجد فيه بعض الاشجار لأصبح فردوسا استوائيا .

مهارات الغطس

ليس بالضرورة ان يكون الانسان غواصا ليستمتع بالجمال الكامن تحت سطح مياه البحر الاحمر . ذلك ان كثيرا

من المشاهد الأخّاذة تكون قريبة من السطح ، وكل ما يحتاجه المرء هو استخدام قناع وجه صغير خاص يدعى « سنوركل Snorkel » مزود بأنبوبة قائمة طويلة تصل الى ما فوق سطح الماء لاستنشاق الهواء ، ليستطلع عن كثب أسرار الحياة البحرية ، وجمالها . ونظرا لأن مدى فائدة استخدام جهاز الغطس هذا محدود ، فان الغواص يظل مقيدا بطول انبوبة استنشاق الهواء ، غير انه يمكنه الاستمتاع بعمليات غطس قصيرة وقريبة من سطح الماء . لكن الامر يختلف ، بطبيعة الحال ، عندما يكون الغواص مزودا بجهاز واسطوانة اوكسجين ، بحيث يصبح طليقا يتجه اينما يحلو له ، يشارك أسماك البحر الأحمر تجوالها وتنقلاتها .

ويعتبر البحر الأحمر واحدا من أفضل مناطق الغوص في العالم لأسباب عديدة منها ، دفء مياهه وصفاؤها ، وجمال مناظره الخلابة . ولكونه من البحار التي لا تصب فيها أنهار ، فان نسبة ملوحة مياهه تفوق الى حد كبير نسبة الملوحة في مياه معظم البحار في العالم . الا ان الذي يميز هذا البحر الجميل هو وجود أحياء بحرية هائلة ، وذلك لانفصاله كلية عن المحيط الهندي عبر عدد كبير من العصور الجليدية السالفة . ومن هنا أصبح البحر الاحمر مقصدا لهواة الغوص من المواطنين والوافدين الى المملكة .



بعض النباتات البحرية التي يزخر بها قاع البحر الاحمر .

تزخر مياه البحر الاحمر باعداد كبيرة من الاسماك المتنوعة .

مواصفات ومتطلبات الغوص

يشترط في الغواص المبتدىء ان يكون صحيح الجسم وخاليا من امراض القلب وجهاز التنفس . وان يكون قادرا على السباحة ، وان يثبت ذلك عمليا في احدى برك السباحة تحت اشراف مدرب مقتدر . ويوجد ، حاليا ، في منطقة جدة وحدها ما بين ثلاثين وأربعين مدربا للسباحة . ويقوم هؤلاء بتدريب ما يقارب من مائتي شخص على مختلف المستويات .

أما في منطقة ينبع فانه يمكن مزاولة رياضة الغوص عن طريق نادي غوص البحر الاحمر ، الذي يتبع أنظمة أحد أندية الغوص الاوروبية ، والذي يشترط في المتدرب ان يكون عضـوا فيه . وتستغرق عملية التدريـب في هذا النادي مـدة سبعة اسابيع أو أكثر .

وعلى الرغم من ان معظم الملتحقين بدورات مركز رياضة الغواصين من الاوروبيين ، فان عدد السعوديين الملتحقين به في تزايد مطرد . وقد اعد هذا المركز خمسة مدربين لكل مجموعة من المتدربين يتراوح عددها ما بين ستة واثني عشر متدربا .

وتتراوح مدة الفصل ما بين خمس وثلاثين واربعين ساعة ، وتشتمل على محاضرات نظرية ليلية وتدريبات عملية صباحية على الغطس . كما يتلقى المتدربون في الفصل معلومات عن بيئة الحيد البحري ، وعن كيفية المشي عبر الحيد البحري ، والطريقة السليمة للدخول الى الماء والخروج منه ، وكيفية تفادي الأحياء البحرية الخطرة ، وكيفية التصرف مع متغيرات الضغط . اما التدريبات في برك السباحة فتشتمل على جو البرك الخالي من التيارات المائية ، والمهارات المبدئية وبعض نقاط التعلم المهمة كمعرفة استخدام جهاز الغطس وتنظيفه من الماء ، وكيفية مشاركة غطاس آخر عملية الهواء والتنفس ، وكيفية معالجة اي عطل قد يطرأ على جهاز تنظيم الهواء كدخول الماء الى الفم ، وغير ذلك من التعليمات الارشادية الضرورية للغطس . اما التدريب في البحر فلا يختلف عن التدريب في برك السباحة ، باستثناء المشي من الشاطيء الى داخل البحر والتصرف مع تيارات البحر الخفيفة . وبعد الانتهاء من الدروس النظرية والعملية ، يتولى المدرب مراقبة المتدربين واعطائهم ملاحظات تتعلق بمشاهداتهم الاستطلاعية تحت سطح الماء ، وبكيفية تفادي الاخطار التي قد يواجهونها .

وبعد استيعاب المتدرب لدروس التدريب ، والاعتماد على نفسه في الغوص بمفرده ، يحتاج الى اجهزة الغوص الخاصة ، والتي تشتمل على أداة التنفس اثناء السباحة تحت الماء ، وقناع الوجه ، وخزان صغير ، وجهاز ابقاء الجسم عائما في الماء ، وغير ذلك من الادوات الضرورية الاخرى .

وفي حديث مع احد المدربين المختصين في هذا المجال افاد بأن هناك اعدادا كبيرة من المتدربين قد أتموا التدريبات والمهارات الفنية المتعلقة بالغطس تحت الماء ، إلا أنه من الملاحظ ان عددا كبيرا من هؤلاء لا يواصل في مزاولة هذه الهواية . وقد يعود السبب في ذلك لعدم شعور الواحد منهم بالراحة النفسية تحت الماء ، نظرا لعدم استخدامه لمعدات غطس جيدة ، والتي ينطوي عليها تسرب الماء الى قناع الوجه مثلا ، أو غير ذلك من المعدات الاخرى . وحول هذا الموضوع يقول خبير آخر في مجال التدريب : انه كلما كانت نوعية ادوات الغطس افضل ، تمتع المتدرب براحة اكثر تحت الماء .

تجربة غواص

يقول « جي.اي.بارال » ، الذي سبق اللقاء معه في المقدمة وهو يحدثنا عن انطباعاته وتجاربه الشخصية تحت الماء: « اتفقت ذات مرة مع اثنين من اصدقائي على الذهاب في رحلة غطس الى الحيد البحري لمدينة جدة مسافة اربعة وعشرين كيلومترا ، بحثا عن اسماك القرش . وبعد ان بلغنا عمق ٤٠ مترا ، بدت لنا اشياء بارزة خلف المنحدر القريب من بعض الشجيرات المرجانية الداكنة ، سرعان ما اختفت . وفجأة ظهر لنا ما كنا نبحث عنه ، وهو مجموعة من سمك القرش ذي المطرقة لا يقل عددها عن اثنتي عشرة سمكة كبيرة جدا ، تمخر الماء قريبة من بعضها البعض وقد انعكست عليها ظلال مياه السطح ذات اللون الأزرق الداكن . وبينما كنا نرقب برزت لنا من القاع ، على



حين غرة ، مجموعة كبيرة من سمك شيطان البحر (لخـم) . وفي الوقت ذاته شـدّ انتباهنا بقعة داكنة ، سرعان ما انقشعت لتكشف عن سرب من اسماك مفترسة تدعى كركي البحر ، « براكـودا Barracudas » ، يضم حوالي الفي سمكة ، طول الواحدة منها حوالي المتر . وبعد ان قفلنا راجعين الى السطح صادفنا وجود بعض السلاحف وأحياء بحرية اخرى متنوعة » .

وعلى الرغم من ان هناك بعض المخاطر التي قد تواجه الغواص والتي تتمثل في اسماك القرش وغيرها ، فان الاستمتاع بمشاهدة المخلوقات البحرية تشد الكثير من هواة الغطس تحت الماء . وما يستهوي الغواص الفجوات والكهوف المنتشرة على نطاق واسع على طول ساحل البحر الأحمر . وفي هذا الصدد يتحدث احد المدربين فيقول : انه يوجد ، الى الشمال من « كورنيش » مدينة جدة كهف على عمق ٢٥ مترا يتميز بحجرتين متداخلتين يوصل بينهما ممر كبير . ويوجد في مؤخرة



١ — يعتبر التصوير تحت سطح الماء هواية ممتعة لكثير من هواة الغطس .

٢ — مخلوقات بحرية دقيقة تقتات على بعض انواع العوالق .

٣ — مشهد يجمع بين الاسماك والاعشاب والنباتات البحرية التي يزخر بها البحر الاحمر .

بتصرف عن مجلة : « **سعودي بزنس** »

الحجرة الثانية فجوتان او حجرتان وممر ضيق يقود الى منطقة مجهولة ، لم يستطع احد من الغواصين الوصول اليها نظرا لضيق ممرها ، اذ يستلزم من الغواص التخلص من اسطوانة الاوكسجين التي يحملها ، والتي لا يمكنه الاستغناء عنها

وبالاضافة الى ذلك ، فقد شاهد بعض الغواصين في منطقة جدة ، حطام قارب سحب غرق قبل سنوات واستقر على عمق ثلاثة واربعين مترا تحت سطح الماء . كما عثروا على بعد نحو اثنين وثلاثين كيلومترا جنوب « كورنيش » جدة ، على حطام سفينة كبيرة على عمق خمسة وعشرين مترا اتخذت منه اعداد كبيرة من الاسماك الكبيرة مرتعا لها

تلك هي جولة في أعماق مياه البحر الاحمر ذي الشعاب المرجانية الجميلة ، والاحياء البحرية المتعددة التي اتخذت منها مكانا خصبا ووسطا ملائما للنمو والتكاثر ، فغدت اعماقه و شواطئه مقصدا لهواة الغطس ، ومنتجعا لناشدي الراحة والاستجمام □



أبها

شعر: د. أحمد عبد القادر المهندس / جامعة الملك سعود

قالوا تحب جمالها وربوعها   أم أنت مفطور على الانشاد

كلا فأبها في دمائي دفقة   تحيى موات عزيمتي وجلادي

فيها قطفت الحب من جنباتها   وقطفتها وشذى الأزاهر هادي

الله ما كانت لياليها سوى   وعدٍ بحب وانتظار وداد

ونقيم في دار النعيم وفيئها   أبداً ويرحل غيرنا لبعاد ..

طوراً نبوح بودنا لنفوسنا   فيجيبنا بالود موج الوادي

ونهيم طوراً في مدى أرياضها   صبحاً وفي غسقِ الدُّجى الميّاد

يل للضفاف الرائعات فكم بها   من ذكريات في الخيال الشّادي

ونخوض بهجة كل أخضر ناعم   يرمي بساكب نوره أو غادي

فلكأنما حُلم يرف فكله   طيرٌ وشدوٌ وانهلال وهاد

ما الشّعر إلا من حفيف غصونها   فالرُّوح تهفو والجمال ينادي

أرض حباها الله حُسناً بارعاً   فتخطرت تزهو بلحن شوادي

يا ليت شعري يوم أن فارقتها   ما ذقت حقاً كيف طعم رُقادي

أو ذُقت نُعمىً في لقاء صحابها   ورعيت عهداً صان عهد فؤادي

ودعتها كُرهاً ولات تندُماً   حتى ولات رؤى على ميعاد

عبثاً أعود أجل وأنّى ألتقي   بصحاب واد صار غير الوادي

ضَنَّ الزّمان عليه ضَنَّ معاندٍ   أو هكذا أو خالفته عواد ..

بل عرَّسته لراحةِ كفُّ النّدى   من آل يعرب صانعي الأمجاد

كفُّ لخالد لا تنى طول المدىٰ   تَبنى البلاد بقوة وعنادِ

وبها غدت أبها البهاء أميرةً   حُباً يظل يعيش في الأكباد

موقف اللسانية من اللغة والكلام

بقلم : د. منذر عياش / فرنسا

الإنسان واللسان في التفكير الاسلامي :

من الملاحظ في كل الدراسات الانسانية وغير الانسانية في التفكير الاسلامي انها تقوم على اساس حضاري . ولقد أدى ارتكاز البحث العلمي على الحضارة ــ صانعة المكونات العقلية والضرورية للبحث ــ بالعلماء الى كشف معرفي انتهى بهم الى اعتبار الانسان كائنا فردا متميز الخصائص . فالانسان ، في منظور الفارابي ، اذا أراد ان يعرف تحركا بدافع الفطرة ، وحينها ، كما يقول : « تنهض نفسه الى ان يعلم او يفكر او يتصور او يتخيل او يعقل كل ما كان استعداده له بالفطرة اشد واكثر » . ويؤكد الفارابي ان فعل الانسان انما يكون : « بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية لا باعتياد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة »[1] .

والانسان عند اخوان الصفاء قد تفرد « بعالم مخصوص »[2] . وهو عند الشهرستاني ، على اعتباره ناطقا ، فان دخوله في « حد الانسانية » أولى من دخوله في « حريم البهيمية »[3] .

بهذه المقولات وغيرها في الانسان يتميز التفكير الاسلامي عن الفلسفة اليونانية وحتى عن كثير من الفلاسفة المعاصرين . فاذا كانت الفلسفة اليونانية ووليدتها المعاصرة تصر ، في تعريفها للانسان ، على حيوانيته كما في المقولة المشهورة « الانسان حيوان ناطق » و « الانسان حيوان ضاحك » ، الى آخر ذلك ، فان التفكير الاسلامي يصر على انسانية الانسان اولا واخيرا . ولعل مقولة الجاحظ تكون امثل ما يعكس ذلك في هذا الخصوص . انه يقول :

« ووجدنا كون العالم ، بما فيه ، حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شيء جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشيء جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة ، فاستوى بذلك الشيء العاقل وغير العاقل من جهة الدلالة على انه حكمة

واختلفا من جهة ان احدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل . فكل مستدل دليل ، وليس كل دليل مستدلا ، فشارك كل حيوان سوى الانسان جميع الجماد في الدلالة وعدم الاستدلال واجتمع للانسان ان كان دليلا مستدلا ، ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجود ما نتج له الاستدلال وسموا ذلك بيانا »[٤] .

الحديث اللساني :

الاصل في الانسان انه متكلم ، والاصل في الكلام انه متعدد ، والاصل في التعدد ان المجتمعات البشرية عبر تاريخها الطويل قد استخدمت ـــ كل مجتمع بما اصطلح عليه ـــ اشارات وعلامات سمعية متعددة تؤدي بها الغرض لتعريف ما في الضمير وكشف السرائر . يقول ابو حامد الغزالي : « ولا متكلم الا وهو محتاج الى نصب علامة لتعريف ما في ضميره »[٥] .

ولقد اتفق العلماء على ان الاحداث ـــ كبيرها وصغيرها ـــ في هذا الكون تسير وفق قانون او جملة من القوانين لا تتعداها . واللسان حدث باعتبار قول الغزالي ، لأن المتكلم محتاج الى نصب علامة لتعريف ما في ضميره . فهل كشفت اللسانية عن هذا الحدث ؟ .

في الواقع ، ان التفكير الاسلامي في اللسان يمدنا بأكثر من جواب . وسنقتصر هنا على واحد منها في غاية الأهمية والدقة ، وقد استفادت اللسانية الحديثة منه كما سيتبين ذلك :

لقد نفذ الرماني الى صلب الحديث اللساني ورأى أن صدور اللانهائي عن النهائي عن طريق التأليف ، أو بمصطلح شومسكي فتوليديا . وسنعرض له مقولتين ، الأولى ، ويقول فيها : « دلالة الأسماء والصفات متناهية »[٦] . والثانية يقول فيها : « فأما دلالة التأليف فليس له نهاية »[٧] . وقد علل نظريته هذه وفسرها بقوله : « لأن دلالة التأليف ليس لها نهاية كما ان الممكن من العدد ليس له نهاية يوقف عندها لا يمكن ان يزاد عليها »[٨] .

لقد أشرنا في الفقرة السابقة الى دور الحضارة في انماء البحث العلمي وتطويره . ونحن نعتقد ان عملية التنظير هذه قد جاءت الى الرماني وغيره من علماء المسلمين استلهاما من المكونات الحضارية ، أو بصورة أدق استنباطا من المكونات الاسلامية التي انعكست في أذهانهم وأقامت فيها مكونات عقلية ورؤى إبداعية ضرورية للبحث . ومثال موقف الرماني من اللغة نجده عند الشهرستاني واحمد بن رشد القرطبي تجاه النصوص وضرورة استعمال القياس عقلا . اما الاول فقد قال : « ان النصوص تتناهى والوقائع لا تتناهى »[٩] .

والمقصود بالنصوص جملة القواعد والأحكام الشرعية . وأما الثاني فقد قال : « ان الوقائع بين اشخاص الاناسي غير متناهية ، والنصوص والافعال والاقرارات متناهية ، ومحال ان يقابل ما لا يتناهى بما يتناهى »[١٠] . ولذلك وجب القياس عندهم عقلا لمقابلة ما هو متناه من النصوص مع ما هو غير متناه من الوقائع ، كما وجب في اللغة لأن القواعد متناهية والجمل الناتجة عنها غير متناهية .

ونستطيع أن نلاحظ اثر هذا التفكير بجلاء ووضوح عند منظر كبير من علماء اللسانية في العصر الحديث ، ونقصد به « شومسكي » . فلقد رأى هذا اللساني ان اللغة تقوم على مجموعة من القواعد المحدودة العدد والقادرة على توليد عدد من الجمل غير محدود او لا نهائي . ولعلنا نلاحظ ، هنا ، وجه الشبه الشديد بين ما قاله المسلمون في اللغة وفي علم الاصول الذي استلهموا منه نظريتهم ، وبين رؤية هذا المنظر للغة . واذا كان المسلمون قد استعملوا القياس في مقابلة الوقائع وتكثيرها الى ما لا نهاية ، فان شومسكي قد استعمله ايضا تحت اسم التكرار في توليد الجمل الى ما لا نهاية . انه يقول : « يجب على القواعد التوليدية ان تكون نظاما من القوانين التي تستطيع ان تتكرر بغية توليد عدد كبير من البنى »[١١] . واذا كان « شومسكي » وتلاميذه يشترطون في القواعد ان تولد جملا قاعدية فقط ، فان هذا الشرط مضافا اليه مصطلح التوليد يذكرنا بما قاله القاضي عبد الجبار في كتابه (المغني) : « ان مثل السبب يجب ان يولد مثل المسبِّب اذا وقعا على طريقة واحدة ولا يجوز ان يولد الشيء بالقصد وضده واذا قارنه مقصد آخر »[١٢] .

في الواقع ، أن أوجه المقارنة كثيرة ، غير اننا ، للأسف ، لم نجد مؤرخا واحدا لعلم اللغة قد تكلم عن اسهام الحضارة الاسلامية في تطوير هذا العلم .

بعد هذا الاستطراد ، نعود الى الحدث اللساني فنقول بأن صدور اللانهائي عن النهائي ، اي صدور الجمل عن القواعد . واذا كان ذلك كذلك ، فما هي مبررات هذا الحدث الذي يرافق الانسان طوال حياته المعلومة ؟

في الحقيقة ، هناك نظريتان تتنافسان الاجابة عن هذا السؤال . اما الاولى فقد تبنتها النظرية السلوكية وعلى رأسها بلومفيلد . واما الثانية فقد تبناها بعض المنظرين المسلمين قديما والمدرسة التوليدية حديثا ، غير اننا هنا سنقف على ما قاله المنظرون المسلمون فقط دون التعرض لمقولات المدرسة التوليدية ، وذلك لأن المجال لا يتسع لهذا .

المدرسة السلوكية Behaviorisme :

أراد بلومفيلد ــ Bloomfield في كتابه «Langage» أن يجعل البحث اللغوي بحثا مستقلا عن باقي الدراسات الانسانية، ولذلك كان يرفض التعامل مع المعطيات اللغوية التي لا تخضع للملاحظة المباشرة . وقد بنى تفكيره هذا على نظرية مفادها ان اللغة سلوك مادي ، هي كأي سلوك يجب ان تخضع للقياس المادي . وكان في عرضه لهذه النظرية يطلب ان يفسر سلوك اي عضو من الاعضاء ــ حيواني او انساني ــ على انه رد فعل من العضو على مثير أو منبه خارجي . وقد اخضع كلا من الكلام والتفكير لهذا المعيار . فالكلام ينتهي الى سلوك مرئي ، والتفكير كلام غير مسموع ولكن يمكن ان يكشف عنه عندما تدعو الحاجة اليه . وعلى هذا الأساس أصبح الكلام تتابعا من المثيرات او المنبهات تتلوها عدة اجابات ، ثم قد تتحول الاجابات فتصير منبهات تتطلب هي الاخرى جوابا او عدة اجوبة ، وهكذا دواليك حتى يتم الحديث او الحوار ويزول اثر المثير . وقد مثل « بلومفيلد » في كتابه المذكور آنفا هذه المعادلة كالتالي :

مثـــير ــــــــــــــــ رد فعل عملي .

مثـــير ــــــــــــــــ رد فعل لغوي بديل .

وعندما يتحول المثير الى لغة تصبح المعادلة كالتالي :

مثير ـــــ رد فعل ...... مثير ـــــ رد فعل[١٣].

الجدير بالذكر ان « بلومفيلد » قد تأثر بـ« J. B. Watson » مبتدع علم النفس السلوكي ، وعنه اخذ نظريته وطبقها على اللغة . ونتيجة لهذا أصبح الحدث اللساني عنده عبارة عن سلوك يتمثل في رد فعل على مثير خارجي .

المنظرون المسلمون :

اذا كان « بلومفيلد » قد جعل من الـ « مثير ــ رد فعل » أساسا لمعادلته في تبرير الحدث اللساني ، فان الفارابي قد جعـل من مفهـوم « المشـاركة » بـين المتحاورين اساسا لتصوره . وقد بنى نظريته انطلاقا من اللفظ كعلامة ــ Le Signifiant ، الى اللفـــظ كدلالة Le Signifié ، ليغطي بالمشاركة كل الأنظمة العموميـــة La Sémiologie . وهذه هي عين النظرة الشمولية التي اتى الاسلام بها . انه يقول : « واما الالفاظ فانها علامات مشتركة اذا سمعت خطر ببال الانسان بالفعل الشيء الذي جعل اللفظ علامة له ، وليس لها من الدلالة اكثر من ذلك ، وذلك شبيه بسائر العلامات التي يجعلها الانسان لتذكره ما يحتاج ان يذكره . فليس معنى دلالة الالفاظ شيئا اكثر من ذلك، وكذلك الخطوط ليس دلالتها على اللفظ أكثر من ذلك »[١٤] .

وبهذا الفكر الشمولي تحتـل المشاركة المكانـــة الاولى بين المتحاورين في نظريته . فاذا ما ارتقينا مع هذا المفهوم بحثا عن اسبابه وتفسيرا لهذه الاسباب عند المنظرين المسلمين ، فسنجد ابن حزم يقرر ان الوجود الانسـاني مرتبـط بالكـلام . وقد دلّ على هـذا بقولـه : «لا سبيل الى بقـــاء أحـــد من النـاس ووجـــوده دون كلام »[١٥] . ويربط الجاحظ سبب وجود الكلام بسبب الحاجة اليه ، فيقول : « الحاجة الى بيان اللسان حاجة واكدة وراهنة ثابتة »[١٦] . ويذهب ابن مسكويه في تحليـل الحاجـة الى الكـلام مذهبـا اجتماعيـا ولسانيـا Socio-Linguistique » ، ويردها الى اصلين :

★ التعايش ، ويقول فيه : « ان السبب الذي احتيج من اجله الى الكلام هو ان الانسان الواحد لما كان غير مكتف بنفسه في تتمة بقائه مدته المعلومة وزمانه المقدر المقسوم احتاج الى استدعاء ضروراته في مادة بقائه من غيره . ووجب بشريطة العدل ان يعطي غيره عوض ما استدعاه منه بالمعاونة »[١٧] .

★ التواصل ، ويقول فيه : « ألم يكن بد من ان يفزع الى حركات بأصوات دالة على هذه المعاني بالاصلاح

ليستدعيها بعض الناس من بعض ، وليعاون بعضهم بعضا فيتم لهم البقاء الانساني وتكمل فيهم الحياة البشرية »(١٨) .

أقســـام اللســـان :

يقسِّم ابن جني اللسان الى ثلاثة اقسام : اللغة ، والكلام والقول .

★ **اللغــة** : ويعرِّفها بقوله : « انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم »(١٩) .

★ **الكلام** : ويعرِّفه فيقول : « اما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد معناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو : زيد أخوك ، فكل لفظ استقل بنفسه ، وجنيت ثمرة معناه ، فهو كلام »(٢٠) .

★ **القول** : ويعرفه كالآتي : « واما القول فأصله انه كان لفظ مذل به اللسان ، تاما كان أو ناقصا . فالتام هو المفيد ، اعني الجملة وما كان في معناها ، والناقص ما كان بضد ذلك نحو : زيد ، وعمرو ، وان . فكل كلام قول ، وليس كل قول كلاما »(٢١) .

فاذا كانت اللغة مجموعة أصوات ، والكلام مجموعة جمل ، واذا كان القول يشترك مع الكلام بهذه الخاصية ، ويفترق عنه في انه مفردات ، فان مجموع هذا كله يكون اللسان . واذا كان الكلام ، بتعريف ابن جني له ، مكونا من جملة أو مجموعة من الجمل ، فقد عرفنا ايضا ان الجملة في اللغة تتكون من اصوات . ونحن نعتقد ان تعريفات « ابن جني » هذه لا تختلف جوهرا عما جاءت به اللسانية مؤخرا .

اللسانية الحديثــة :

تنظر اللسانية الحديثة الى اللغات الطبيعية على انها مكونة من عدد محدود من الفونيمات « الصوائت » يقول شومسكي : يمكن تمثيل كل جملة بمتوالية محدودة من الفونيمات على الرغم من ان عدد الجمل لا يتناهى »(٢٢) .

وقد قسمت اللسانية الحديثة اللسان بشكل لا يضيف جديدا على التقسيم الذي قام به ابن جني ، حتى ان أحد اللسانيين المعاصرين ، وهو Roger G. de Velde أدرك هذا الأمر في كتابه « á La méthodologie Structurale » فقال الجملة المشهورة « لا جديد تحت الشمس » . وسنعرض فيما يلي مفهومي الكلام واللغة في اللسانيــة الحديثة عرضا موجزا للغاية .

★ **الكلام** : تعتبر اللسانية الحديثة ان كل البشر يملكون استعدادا خاصا للتواصل فيما بينهم من جهة ، ولنقل افكارهم والتعبير عن مشاعرهم ورغباتهم من جهة اخرى . ويبدو هذا الاستعداد مستوعبا في اللسان . وهذا ما حدا بـ « Saussure » الى النظر الى الكلام على انه مكون من بعدين : فردي ، واجتماعي . وقد قال في ذلك : « ان للكلام وجها فرديا ووجها اجتماعيا ، ولا يمكن وجود احدهما دون الآخر »(٢٣) .

ولما كانت اللسانية قد وضعت نفسها ضمن اطار الدراسات الانسانية فقد حدد ميدان بحثها . ويقول « Martinet » بهذا الصدد : « ان الكلام الذي يدرسه اللساني هو الكلام الانساني »(٢٤) . ويقول في تعريف الكلام : « ان الكلام يعني بصورة خاصة الموهبة التي يملكها الناس للتفاهم وذلك عن طريق اشارات سمعية »(٢٥) . وهكذا نرى ان تعريف الكلام حديثا لا يعدو كونه اعادة لما سلف كما رأينا عند ابن جني وغيره .

★ **اللغــة** : يقول « شومسكي » في تعريف اللغة : « نطلق اسم « لغة » ، من الآن فصاعــدا ، على مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمــل . وتمتاز كــل جملــة بطول محدود ، وتتكون من مجموعة محدودة من العناصر . وان كل اللغات الطبيعية ، مكتوبة او متكلمة ، تنطبق على هذا التعريف ، وذلك لان اللغة الطبيعية تحتوي على عدد محدود من الفونيمات (أو من الحروف في أبجديتها) بالاضافة الى انه يمكن تمثيل اي جملة بمتتالية من الفونيمات او (الحروف) . هذا مع العلم ان عدد الجمل غير نهائي »(٢٦) .

يبقى هذا التعريف ناقصا من عدة وجوه وان انطبقت عليه كل اللغات . فلقد اكدت الدراسات اللسانية للغات ان لكل قوم اشارات صوتية سمعية خاصة بهم . واذا اخذنا العربية مثلا ، فسنراها تختلف عن غيرها من ناحيتين :

★ الأولى من ناحية نوعية الاشارات الصوتية السمعية نفسها .

★ والثانية، انه قد لوحظ ان الاشارات الصوتية السمعية للعربية تتناسق فيما بينها — وهذا شأن كل اللغات — حسب قواعد خاصة تتكون الجمل بها . وهذه القواعد تختلف من لغة الى أخرى.

الفرق بين اللغة والكلام :

لقد درس كل من « Todorov » و « Ducrot » الفرق بين مفهوم اللغة والكلام عند « Saussure »(٢٧) . ولزيادة معلوماتنا استعنّا بهما واستنتجنا النتائج التالية :

مفهوم اللغة :

★ تعرف اللغة بأنها نظام . وهذا يعني انها تقوم على نوع من التنسيق بين الصور السمعية والمفاهيم .

★ إن اللغة سلبية او غير فاعلة . وان امتلاكها يتم باستخدام الامكانات الذهنية ، او الذاكرة .

★ إن اللغة ظاهرة اجتماعية .

مفهوم الكـــلام :

★ إن الكلام هو الاستعمال او الاستخدام الفعلي للنظام اللغوي .

★ إن كل نشاط مرتبط باللغة يعد من خصائص الكلام .

★ إن الكلام ظاهرة فردية .

نود أن نضيف الى هذا الاستنتاج نقطتين توضيحيتين تتعلقان باللغة والكلام :

اللغـــة : يدخل الكلام في دائرة اللغة ولا تدخل اللغة في دائرة الكلام . وهذا يعني ان اللغة أوسع دائرة من الكلام ، أو انها تتضمنه . وعندما نشير الى العربية كلغة فاننا نشير اليها كأصوات متميزة تقوم على جملة من القوانين (مورفونولوجية ، نحوية) وتستخدم في تأليف جمل ذات معنى .

الكلام : هو مجموع العبارات التي ينطق بها المتكلم ، وينقسم الى عدة مستويات :

★ المستوى المباشر ، وهو المستوى الذي يستعمل فيه المتكلم الفرد طرائقه الخاصة في تنفيذ عملية الكلام . ويجب ان نلاحظ ان هذه الطرائق وان كانت شخصية فانها لا تعزله عن الأسرة اللغوية التي ينتمي اليها ، لأنه حين يتكلم يأخذ عن المجتمع الذي نشأ فيه قواعد لغته وألفاظها ، أي يأخذ ما يسمى باللغة . وعلى هذا الاساس يكون الكلام هو حاصل استعمال المتكلم للغته حسب طرائقه الخاصة .

★ مستوى غير مباشر ، وهو المستوى الذي يكون الفرد فيه متلقيا فقط أو منعدم الفاعلية . وفي هذا المستوى يتلقى اللهجة ، كما يتلقى بعض الالفاظ والتراكيب المستعملة في الحياة اليومية ، اي انه يذوب لتظهر فيه الشخصية اللغوية للمجتمع الذي ينتمي اليه ، سواء على مستوى الحي ، او مستوى المدينة ، او مستوى الوطن □

المراجـــع :

١ — « الحـــروف » ، ص/١٣٤ .

٢ — « رسائل اخوان الصفاء » ، جـ/٣ ص/١١٥ .

٣ — « نهاية الاقدام في علم الكلام » ، ص/٣٢٣ . .

٤ — « الحيـــوان » ، جـ/١ ، ص/٣٣ .

٥ — « المستصفى من علم الأصول » ، جـ/١ ، ص/٤٨ .

٦/٧/٨ — « النكت في اعجاز القرآن » ، ص/١٠٧ .

٩ — أخذنا قول الشهرستاني عن كتاب محمد ابو زهرة « في أصول الفقه » ، ص/٢٠٦ .

١٠ — « بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ/١ ص/١٩ .

١١ — «Aspects De La Theorie Syntaxique». P/31

١٢ — « المغني في أبواب العدل والتوحيد » ، جـ/٧ ، ص/١٩٥ .

١٣ — «Langage». P/30

١٤ — « شرح العبارة » ، ص/٢٥ .

١٥ — « الاحكام في اصول الاحكام » ، جـ/١ ص/٢٩ .

١٦ — « الحيوان » ، جـ/١ ص/٤٨ .

١٧/١٨ — « الهوامل والشوامل » ، التوحيدي وابن مسكويه ، ص/٦—٧ .

١٩ — « الخصائص » ، جـ/١ ، ص/٣٣ .

٢٠/٢١ — « الخصائص » ، جـ/١ ص/١٧ .

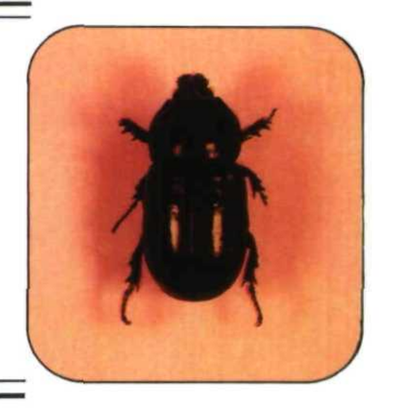
٢٢ — «Structures Syntaxique». P/15.

٢٣ — «Cours De Linguistique Generale». P/24.

٢٤/٢٥ — «Elements De Linguistique Generale». P/7.

٢٦ — «Structures Syntaxique». P/15.

٢٧ — «Dictionnaire Dncyclopedique Des Sciences Du Langage». P/155.



أهم الآفات الحشرية في شبه الجزيرة

بقلم : د. شاكر محمد الحماد / جامعة الملك فيصل

يعتبر النخيل من أهم مصادر الانتاج الزراعي في الدول العربية والاسلامية ، ففي المملكة العربية السعودية يوجد نحو ٨ ملايين نخلة ، والعراق نحو ٣٢ مليون نخلة ، وايران نحو ١١ مليون نخلة ، والباكستان نحو ٨ ملايين نخلة ، ومصر ٦ ملايين نخلة ، والجزائر ٧ ملايين نخلة ، والمغرب ٤ ملايين نخلة ، والسودان ٣ ملايين نخلة ، وتونس ٢,٥ مليون نخلة ، وليبيا ٢ مليون نخلة ، واقل من ذلك في كل من قطر والبحرين والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة واليمن الشمالي واليمن الجنوبي .

من هنا تبرز لنا أهمية نخلة البلح بالنسبة الى المواطن العربي من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي ، الأمر الذي حدا بالدول العربية الى الاحتفال باليوم العربي للنخيل يوم ٢٧ ذو القعدة ١٤٠٢ هـ (١٥ سبتمبر ١٩٨٢ م) .

وسنتناول هنا أهم الآفات الحشرية التي تصيب نخيل البلح في شبه الجزيرة العربية وطرق مكافحتها لحماية النخيل من اضرار تلك الآفات وزيادة انتاجها من البلح والتمور .

بيض دوباس النخيل داخل نسيج وريقة سعف النخيل .

التي تصيب نخيل البلح العربية وطرق مكافحتها

حشرة النخيل القشرية

تنتشر هذه الآفة الحشرية في جميع مناطق زراعة النخيل ، والقشرة التي توجد تحتها الاطوار المختلفة للحوريات والاناث البالغة ، بيضاوية الشكل رمادية اللون ، ويبلغ قطرها نحو ملليمتر واحد . ويكثر وجود قشور تلك الحشرة على الخوص والجريد والثمار حيث تمتص الحوريات والاناث عصارة الاوراق والثمار فتجف وتموت تبعا لذلك .

وتتم مكافحة الحشرات القشرية الموجودة على النخيل بزراعة شتلات سليمة خالية من الاصابة ، او بمعالجة الشتلات قبل زراعتها ، وترك مسافات كافية بين الاشجار للتهوية حيث تشكل الرطوبة عاملا مهما في انتشار الاصابة بالحشرات القشرية . فعملية تقليم الجريد القديم والمصاب وتنقية النخيل من الليف الموجود عند قواعد الجريد ، تساعد على الاقلال من انتشار الاصابة بالحشرات القشرية . وتبعا لذلك ينبغي رش اشجار النخيل في فصل الشتاء ، وخاصة بعد جمع البلح أو التمر باحد الزيوت المعدنية بتركيز ٢٪ مضافا اليه مبيد «الملاثيون» بتركيز ٠,٢٥٪ ، وفي حال الاصابة الشديدة ، تكرر عملية الرش هذه بعد فترة تتراوح بين اسبوعين وثلاثة اسابيع ، ويستحسن في هذه العملية استخدام آلات الرش ذات الضغط العالي وذلك كي يسمح للمبيد بالوصول الى اجزاء النخلة كافة . وفي حال وجود نباتات او اشجار اخرى تحت اشجار النخيل فانه يراعى عدم جمع اوراق او ثمار تلك النباتات او الاشجار الا بعد مرور خمسة ايام على الاقل من الرش وذلك في حال استخدام « الملاثيون » مع الزيوت المعدنية .

الحشرة القشرية الشرقية الصفراء

تنتشر قشور هذه الحشرة على اوراق النخيل والثمار في المملكة العربية السعودية ، وأهم عوائلها ، خلاف النخيل ، الزيتون والتين والموالح والمانجو والبرقوق والعنب والصفصاف والفيكس والياسمين والخروع وشجيرات الورد والدورانتا وحبل المساكين . وقشرة الانثى مستديرة ويتراوح قطرها ما بين ١,٦ و ٢,٢ ملم ، ولونها اصفر باهت يميل الى الرمادي ، وهي شفافة ، الى حد ما بحيث يمكن رؤية الانثى الموجودة تحتها ، اما قشرة الذكر فهي اصغر من قشرة الانثى وشكلها بيضاوي مستطيل . وتكافح الحشرة المذكورة بالوسيلة نفسها التي تكافح بها حشرة النخيل القشرية السابقة .

الحشرة القشرية الخضراء

يكثر وجود قشورها على اوراق النخيل وثماره ، ولون القشرة اخضر مشوب بصفرة فاتحة مع وجود بقعة سمراء اللون على السطح العلوي للقشرة ، وينتشر

حول حافة القشرة خيوط عديدة شمعية ذات لون أبيض . اما الشكل العام للقشرة فبيضاوي متطاول ومحدب قليلا ، ولكن لون نهايتها المدببة افتح من لون سائر أجزاء القشرة . ويبلغ طول القشرة حوالي ١,٥ ملم وعرضها حوالي ١,٧٥ ملم .

وكما هي الحال بالنسبة الى جميع الحشرات القشرية ، فان هذه الحشرة تمتص العصارة النباتية من الجريد والخوص والثمار محدثة بذلك بقعا فيها تميل الى اللون الاسمر . وتكافح هذه الحشرة بالطريقة نفسها التي تكافح بها حشرة النخيل القشرية .

الحشرة القشرية الحمراء

تنتشر هذه الحشرة في جميع مزارع النخيل ، وهي تتغذى على النسيج الأبيض الذي يقع تحت الاغلفة الليفية في قاعدة الجريد على الساق او التاج وعلى قاعدة عنق السباطات . وجميع اعمار الحورية والحشرة الكاملة « الانثى » مغطاة بطبقة شمعية بيضاء وتبدو وكأنها قطعة من القطن تحيط بجسم الحشرة . غير ان ذكر هذه الحشرة عديم الاجنحة ، وهذه حالة شاذة بالنسبة الى الحشرات القشرية الاحادية الجناح والتي تطير به لتلقيح الانثى ، تحت قشرتها . وتكافح هذه الحشرة بنفس الاسلوب الذي تكافح به سائر الحشرات القشرية السالفة الذكر .

دوباس النخيل

تعتبر هذه الحشرة من أشد آفات النخيل فتكا ، فالحوريات والحشرات الكاملة تمتص عصارة الاوراق التي سرعان ما تذبل وتجف ، كما تفرز تلك الحشرات على الاوراق مواد عسلية ينمو عليها الفطر وتسد ثغور التنفس لتلك الاوراق . ويتراوح طول الحشرة الكاملة من هذا النوع ما بين ٣ و ٦ ملليمترات ولونها اصفر يميل الى الخضرة واجزاء فمها ثاقبة ماصة ، وللحوريات ١٦ زائدة شمعية طويلة تقع في مؤخرة جسمها . وتكافح هذه الحشرة باستخدام محلول الملاثيون (بتركيز ٠,٢٥٪) في شهر ابريل حيث تكون ثمار البلح آنذاك صغيرة ، ويمكن اجراء عملية الرش هذه خلال شهر نوفمبر اي بعد جمع الثمار .

حفار ساق النخيل ذو القرون الطويلة

وهي خنفساء كبيرة بنّية اللون ، يتراوح طولها بين ٢,٥ و٤ سنتيمترات ، ويعادل قرن الاستشعار طول الجسم تقريبا . وتضع اناث هذه الحشرة بيضها في ابط قواعد الجريد حيث تقوم اليرقات بعد الفقس بالحفر داخل الجذع (بعد بلوغها نحو ٣ اشهر من العمر تقريبا) وفي قواعد الجريد ، وتظهر على الجذع وقواعد الجريد من الخارج ثقوب بيضاوية الشكل هي بمثابة فتحات تخرج الحشرات الكاملة منها بعد تحول اليرقة داخل الجذع الى عذراء (بعد نحو ١٠ أشهر تقريبا) وبعد ان تتحول العذراء (الموجودة أيضا داخل الجذع) الى الحشرة الكاملة (بعد نحو ٣ أسابيع) . واليرقة كبيرة وسميكة عند الرأس . وتتسبب الأنفاق الكثيرة التي تحدثها هذه الحشرة داخل جذع النخلة في سقوط النخلة عند هبوب رياح شبه شديدة ، كما تمنع هذه الانفاق العصارة النباتية من الصعود الى اعلى فيقل بذلك انتاج النخلة من البلح أو التمر .

أما مكافحة هذه الحشرة فتتم برش جذع الشجرة جيدا بـ « السيفين » بنسبة ٠,٤٪ أو بمبيد « البيرثرين » بنسبة ٠,١٪ (كافل ١٠) أو « الدبتركس » بنسبة ٠,٣٪ على ألا تؤكل اوراق أو ثمار المحاصيل النامية تحت اشجار النخيل الا بعد مرور اسبوعين او ثلاثة اسابيع من تاريخ رشها . ويجري الرش عادة خلال شهري مايو ويونيو ، وهو الوقت الذي تظهر فيه اليرقات حديثة الفقس على جذوع اشجار النخيل وقبل دخولها الى السيقان . كما يمكن حقن جذع النخلة بالمبيدات الحشرية مثل مبيد «السوبراسيد» وذلك باحداث ما بين ٤ و ٨ انفاق حول الجذع بعمق ٢٠ سنتيمترا وعلى ارتفاع نحو متر من سطح الأرض ، ويحقن بكل نفق ما مقداره ٢٠ سنتيمترا مكعبا من مبيد « السوبراسيد » بنسبة ٢٠٪ . والغرض من طريقة الحقن هذه هو تلافي سقوط المبيدات على المحاصيل الأخرى المزروعة تحت اشجار النخيل لدى القيام بعملية الرش .

جُعَل النخيل

تُصيب هذه الحشرة جميع زروعات النخيل ، اذ تضع أنثاها البيض في المواد العضوية الرطبة المتحللة بالقرب من الخشب الحي وذلك عبر ثقوب جذع النخلة التي أحدثها حفار ساق النخيل ذو القرون الطويلة ، كما تضع البيض أيضا في التاج بين الألياف عند قواعد الجريد . وتعيش اليرقات الكبيرة الحجم على مخلفات حفار ساق النخيل السالف الذكر وعلى بقايا الألياف المتعفنة في قاعدة الجريد على الجذع او التاج ، وتشاهد آثار تغذية تلك اليرقات على شكل حفر واسعة عند قواعد الجريد وعلى الساق مما يتسبب في كسر الجذع . وتؤكل يرقة هذه الحشرة في دول جنوب شرق آسيا ، وذلك ربما لاعتقاد سكانها بفائدتها العلاجية ، كما هي الحال بالنسبة الى الحشرة السابقة .

أما الحشرة الكاملة لهذا النوع فهي خنفساء سوداء اللون كبيرة الحجم يتراوح لونها بين ٥,٥ و ٦ سنتيمترات ، وهي تشاهد ليلا بعد الغروب حيث تنجذب للضوء في المزارع والشوارع في الفترة الممتدة من مارس حتى يوليو ، ومن سبتمبر حتى اكتوبر . وتحدث هذه الحشرات الكاملة أضرارا كبيرة ايضا إذ تتغذى على اوراق النخيل حديثة النمو ملحقة بها تلفا كبيرا ، كما تتغذى على قواعد السباطة الحاملة للأزهار او الثمار ، ويتسبب ذلك في تقصفها وسقوطها .

وتكافح هذه الحشرة بالطريقة نفسها التي يكافح بها حفار ساق النخيل ذو القرون الطويلة .

ثاقبة جريد النخيل

من مضارّ هذه الحشرة ان يرقاتها تحدث أنفاقا داخل العرق الأوسط للجريد مما يعرضها للكسر خلال هبوب الرياح الخماسينية في فصل الربيع ، وتقضي حياتها فيه الى ان تعذر ثم تصبح حشرة كاملة حيث تتولى في هذه المرحلة باحداث ثقوب لها لتخرج منها للتزاوج ووضع البيض لاعادة دورة حياتها . وتطير هذه الحشرة ليلا وتظهر في أوائل مايو . والحشرة الكاملة هي خنفساء ذات لون بني غامق ، ويتراوح طولها ما بين ١٦ و ٢٢ ملليمترا ، وجسمها اسطواني مستطيل الشكل ، ورأسها متجه نحو الأسفل ، حيث يغطي مؤخرته الحلقة الصدرية الأولى . ومقدمة هذه الحلقة الصدرية مسنن .

دودة البلح الصغرى (الحميرة)

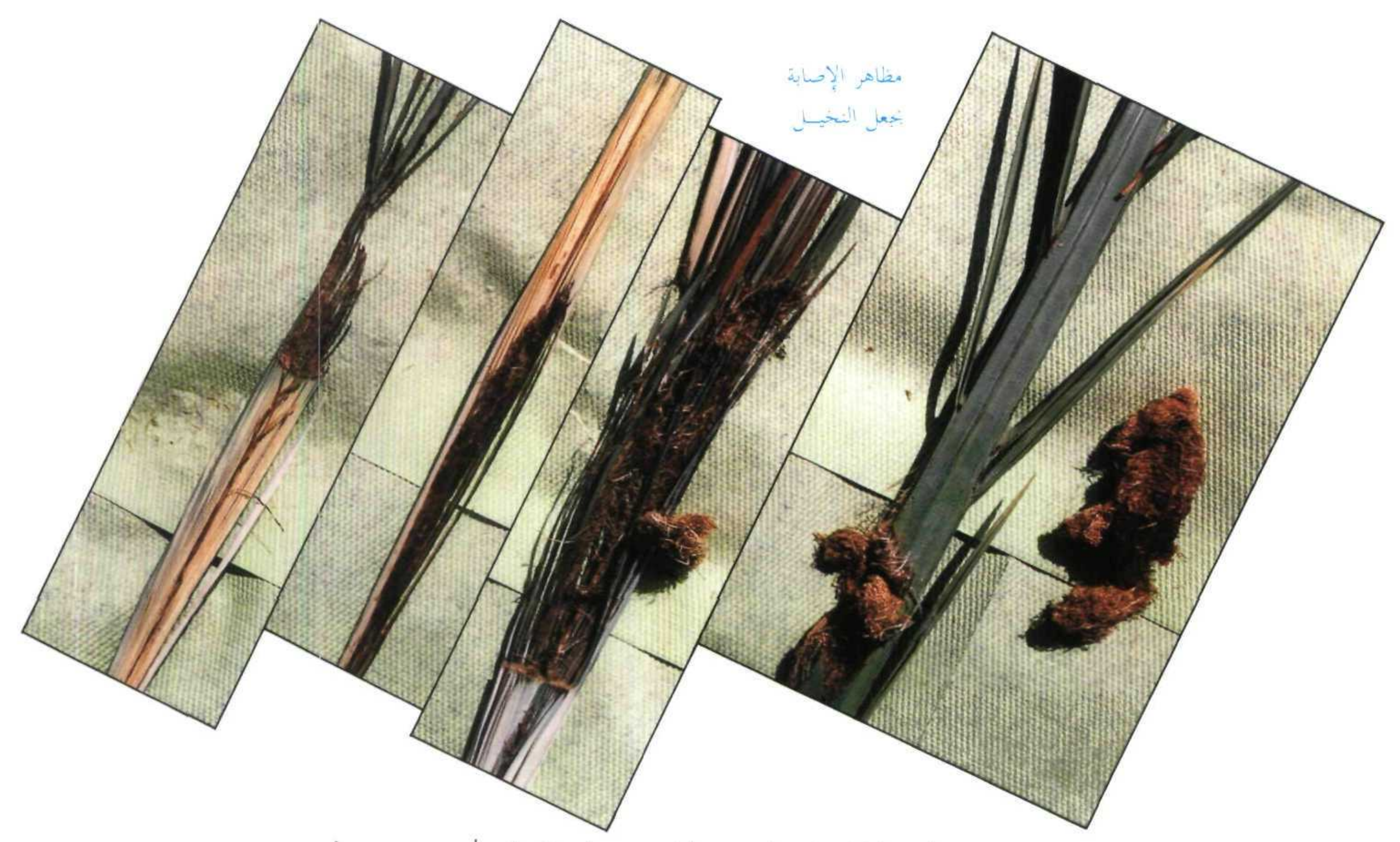
وتسمى بلّافة التمر البيضاء أو الحميراء أو الحشف او الحتت ، وتظهر الفراشات الصغيرة حوالي منتصف شهر ابريل ، وتضع بيضها على الازهار فتتغذى اليرقات الفاقسة للجيل الأول عليها . وتفرز تلك اليرقات خيوطا عنكبوتية حريرية لامعة في اماكن تغذيتها . وبعد عقد الثمار ، تتغذى يرقات الجيل الثاني عليها بعد ثقبها من جهة الكأس ، فتسقط الثمار التي تكون عندئذ في حجم حبة البصلة ، كما تصاب الثمار التي لم تسقط بالتعفن فيصبح لونها بنيا داكنا ، فتتقلص . وتعتبر الحميرة من اخطر آفات النخيل اذ تتسبب في سقوط نحو ٢٠ في المائة من الازهار وذلك بسبب تغذية يرقات الجيل الاول . وقد تصل نسبة التلف الناتج عن الاصابة بيرقات الجيل الثالث في نهاية الموسم الى نحو ٩٠ في المائة من الثمار . ويبلغ طول الفراشة الصغيرة جدا نحو ٧ ملليمترات ، ولونها بني فاتح يميل الى الاصفرار ، وتكسو حواف اجنحتها شعيرات او أهداب طويلة . وتتم مكافحة هذه الحشرة على مرحلتين ، إحداهما بعد اسبوع واحد من تلقيح الأزهار خلال شهر مايو والثانية بعد نحو شهر تقريبا من المرحلة الاولى ، ويستخدم لمكافحتها مبيد الكافل ــ ١٠ (البيرثرين) بتركيز نسبته ٠,١٪ ويكتفي هنا برش العرجون دون سائر أجزاء النخلة وذلك لتفادي بقدر الامكان ، القضاء على الطفيليات النافعة .

دودة البلح الكبرى (دودة طلع النخيل)

تضع أنثى الفراشة بيضها على الاوراق الغضّة في شهر مارس ، وتصيب اليرقات البلح الحديث العقد مفرزة بذلك خيوطا حريرية بين عنق الثمار والشمروخ ، كما تقرض اليرقات وريقات النخيل والعروق الوسطى للجريد الحديث النمو ، وتحفر اليرقات كذلك داخل ساق العرجون الذي لا يلبث ان يذبل جزئيا أو كليا ، وتفقد الثمار لونها الأخضر وتتحول الى



مظاهر الاصابة بدودة طلع النخيل وكذلك الحميرة إذ يلاحظ انفصال البلح الحديث العقد واتصاله بخيط عنكبوتي بأحد فروع عذق البلح قبل سقوطه .



مظاهر الإصابة
بجعل النخيل

اللون الاصفر او الرماديّ ، وتذبل وتبقى معلقة على الشمروخ بين الخيوط الحريرية . ويبلغ طول الفراشة الكبيرة الحجم منها نحو ١,٨ سم ، ولونها سمني ، أما اليرقة فلونها رمادي ، وهي كبيرة الحجم بحيث يتراوح طولها ما بين ٢ و ٢,٥ سنتيمتر . وتكافح هذه الحشرة كيميائيا كما هي الحال بالنسبة الى الحميرة .

سوسة طلع النخيل

تصيب هذه الحشرة الطلع عند ظهوره وبعد تفتّحه . وإثر ظهور الشماريخ الزهرية التي تهاجمها أفراد تلك الآفة ، وتستمر في إحداث الضرر طوال فترة التزهير وحتى بعد عقد الازهار وتكوين الثمار ، أي ان الحشرة المذكورة تظهر خلال شهري يناير وفبراير ويستمر ظهورها حتى أواخر يونيو ، وقد تتسبب هذه الآفة في إحداث تلف بالنخيل تقدر نسبته بنحو ٢٠ في المائة . والحشرة الكاملة هي سوسة صغيرة الحجم يبلغ طولها نحو ٥ ملليمترات ولونها اصفر برتقالي ، وتقع أجزاء فمها في نهاية امتداد رفيع مستطيل يوجد في مقدمة الرأس ويكثر وجود هذه الحشرة في وادي بيشة . وهي تكافَح كيميائيا بنشر مسحوق « البيرثرين » بتركيز نسبته ١ ٪ (كافل — ١٠) أو بمسحوق « السفين » بتركيز نسبته ٥ ٪ باليد حول قاعدة الطلع والشمروخ وبين طيات الليف المجاورة .

آفات التخزين الحشرية

يتعرض التمر المتساقط حول اشجار النخيل وفي المستودعات الى حشرات عدة اهمها ديدان البلح التابعة المنحدرة من عائلة جنس — Cadra أو Anagasta من فصيلة الفراشات حرشفية الأجنحة حيث تتغذى الديدان القرنفلية اللون داخل التمر فتنسج خيوطا حريرية حولها ، كما تتعرض الى مجموعة كبيرة من الخنافس الصغيرة الحجم والمنحدرة من عائلة Nitidulidac ، والمعروفة بـ « خنافس الثمار الجافة » حيث تشاهد يرقاتها السمنية اللون والسريعة الحركة تتغذى على التمر ، كما يوجد بالتمر خنافس أخرى صغيرة تسمى « خنافس الدقيق » وهي تنحدر من عائلة Tenebrionidae .

وتكافَح هذه الحشرات الكامنة في البلح أو التمر بتعريض البلح للهواء الساخن في افران خاصة على حرارة تتراوح ما بين ١٣٠° أو ١٤٠° فهرنهايت أو بتبخير البلح أو التمر بغاز ثاني كبريتور الكربون (١٣٠ غم/متر مكعب من الفراغ) ، أو بغاز ثاني اوكسيد الكبريت المتولد عن إحراق الكبريت (بنسبة ١٠٠ غم كبريت/متر مكعب من الفراغ أو بغاز برومور الميثايل (٢٠ غم/متر مكعب من الفراغ) أو بوضع مسحوق أو بلورات مادة الفوستوكسين Fostoxin التي ينتج عنها غاز (بنسبة ٢٠ غم/متر مكعب من الفراغ) ، ولاجراء عملية التبخير فانه لا بد من وضع البلح أو التمر في مستودع محكم القفل ثم فتح نوافذ وأبواب هذا المستودع بعد ٢٤ ساعة من بدء عملية التبخير المذكورة □

ديار النخيل

شعر: خليل خلايلي / الباحة

طـــالَ شوقي الى ديـــار النخيـــل ... فاستعـدوا يا رفقتــي للرحيـــل
آن أن نهجــر الشـآم وأهليـــ ... ـــه لأهـل على الحجـون نـزول
أسرجــوا كلَّ مهـرةٍ تتهـادى ... تسبق الريـح في الطريـق الطويل
من بنـات الصحـراء ترتـع كِبْـراً ... وتسلـي محزوننـا بالصهيـل
زانهـا كالمهـاةِ خـدٌ أسيـلٌ ... وبيـــاض الجبـين والتحجيـــل
لا أحـب الجنـاح يهـدر في الجـو ... مخيفـاً كمـاردٍ أو غـــول
إن عيني تشتــاق رؤيــة أرضــي ... حــرّة كالضيـاء عنـد الأصيـل
وفؤاد الكئيـبِ يطفـح بشــرا ... في مهـاد القـرآنِ والتنزيـــل

★ ★ ★

يا رسـول الأنـام جئتــك أرجـو ... في حِمـاك الطهـور بعـضَ مقيـل
ضــاق بي الرحب يا حبيبي فَاشفـعْ ... لفـــؤادٍ معــذبٍ مبتـــول
لا تلمنـــي اذا بكيــت من الوجــــ ... ــد فوجدي من كـل سـامٍ نبيـل
ان بي للحجـاز شوقـاً دفينـاً ... ولعطــرِ التكبـير والتهليـــل
بوركــتْ تلكُــمُ الديـــارُ وروّى ... تربَهـا السمحَ كلُ غيـثٍ هطـول
دوحـــة تنبـت المعالــيَ والعــزّ ... وتهـوىٰ صعوبــةَ المستحيـــل
شاخ من حولهـا الزمـــان وظلّـت ... جمـرة الحـق والتـراثِ الأصيـل
•هكـذا شاءهــا الالــه وجلّـت ... حكمــةُ الله في ديـــارِ النخيـــل

الزبيدي و «تاج العروس»

بقلم: أبي طالب زيان / القاهرة

لا شك في أن عام ١٧٥٤م، كان يحمل في طياته، لحظة من أخطر لحظات الحياة: العقلية والثقافية، في القرن الثامن عشر، الذي كان يموج بتيارات ثقافية عربية وأدبية مختلفة، ساهم فيها العلامة: «محمد مرتضى الزبيدي»، خير مساهمة، بما أوتيه من معرفة وعلم، جعلت: «عبدالرحمن الجبرتي»: المؤرخ، يثني عليه خير الثناء، ويجعله في مقدمة الركب الذي أثرت به الثقافة، وأشير اليها بأبحاث هذا العالم الجليل.. حتى إن «الجبرتي»، نفسه، على علمه وفضله، قد تتلمذ على يد «الزبيدي» وأخذ كثيرا من العلوم في اتجاهاتها المختلفة، من اؤلئك الذين تعرضوا لهذه الحياة الفكرية، وخبروا كنهها، وعمروا مسالكها المتشعبة الموحشة.

ولقد تلقى «عبدالرحمن الجبرتي» والشيخ حسن العطار، أصول علوم اللغة والتاريخ، وتعلّما منه: مبدأين جوهريين، هما: ضرورة العودة الى تراث العلوم العربية، وذلك فيما بين: القرنين: الأول والتاسع الهجريين، ثم ضرورة الوعي بالمستوى العلمي، والاحتياجات العملية، التي كانت سببا في انتاج تلك العلوم، وأوقفتها عند الحدود التي حطت مراسيمها عبر شطآنها..

ومن هذين المبدأين، تعلم تلاميذ «الزبيدي»، في مصر بوجه خاص، ضرورة أن يستجيب إنتاجهم العلمي لحاجات العصر من جهة، وأن يكون هذا الانتاج، حوارا نقديا وواعيا، متجاوبا مع تراثهم وعالمهم وعصرهم في وقت واحد.

على أن «الزبيدي»، قد بدأ حياته الجديدة في مصر، بعدة جولات، اكتشف فيها «البيئة العربية» الجديدة، وأدرك أبعاد التحرك الاجتماعي الذي يلحق بها، وفهم كذلك، حيوية الواقع الثقافي الفياض بالثقافة، الجياش بالاستجابة لذلك التغير.

وقد كان دائم التجوال في مدن مصر، حريصا على لقاء فقهاء المدارس، في مساجد المدن الكبرى، من أقصى مدن مصر الى اقصاها، جاعلا نصب عينيه، ضرورة الاجتهاد، لتجديد الشرع، وضرورة احياء اللغة من أجل تجديد هذا الشرع..

ولا يغيب عن الذهن، كتاب «الزبيدي»، الذي ألفه في عاصمة «مصر»، وهو كتاب: «تاج العروس» عاملا على أن يكون موسوعة عربية، لاحياء اللغة.

وفي رأيي أن كتاب: «تاج العروس»، كان أوضح تعبير عن تحرك الثقافة العربية التقليدية، بقوتها الذاتية، نحو عصر جديد، كان يشب بشكل موضوعي وأصيل في المجتمع المصري، في ذلك الوقت.

و: «تاج العروس»، يحمل اسما من تلك الأسماء، التي اعتاد المناخ الثقافي الممسوخ الذي نحياه، أن يدفعنا الى السخرية بها، لأنها «مسجوعة» وهي كتاب: «تاج العروس من شرح جواهر القاموس» والواقع، أن هذا الكتاب، ليس كتابا عاديا، لا من حيث موضوعه، ولا من حيث حجمه، ولا من حيث مجالات اهتمامه، ولا من حيث مكانته بين قرنائه، ولا من حيث علاقته بالعلم الذي ابتغاه، ولا من حيث علاقته بالزمن الذي ألف فيه..

وضع «الزبيدي»، وهو يؤلف هذا الكتاب، في اعتباره، انه يؤلف معجما للغة العربية، فكانت النتيجة، أنه ألف موسوعة كبيرة، اشتملت على كل العلوم المكتوبة باللغة العربية، على أي وجه من وجوه التقريب..

ولم يدر في خلد «الزبيدي»، انه يضع معجما وحسب، بل اتجه اتجاها آخر، فأخذ يكتب شرحا ونقدا، لآخر ما كان العرب قد انتجوه من معاجم، وتفوق بعمله هذا على «القاموس المحيط»، الذي ألفه «ابوطاهر الفيروز أبادي»، اذ قد استوعب «الزبيدي» في معجمه، جميع المعاجم العربية الكبرى التي سبقه بها أصحابها، ونجاوزها بالشرح والتحليل

والنقد الواعي البناء، ولم ينس، حاجات عصره من المعلومات، غير ذلك الوعي باستخدامات اللغة وطبعاتها ومعانيها ووظائفها.

وقد لفت هذا المعجم القيم أنظار كثير من الباحثين.. فقال الدكتور: حسين نصار، في كتابه عن المعجم العربي، نشأته وتطوره، ان: «الزبيدي» ذكر في مقدمة كتابه: «تاج العروس» مائة وعشرين من مراجعه العربية، من بينها مراجع في اللغة ـــ كالمعاجم والرسائل والنحو والصرف والبلاغة وكتب في الأمثال والتاريخ والأدب وعلوم القرآن، وكتب في الجغرافيا والحيوان والطب والنبات، وغير تلك الكتب التي كانت تشتمل على علوم الأرض والكيمياء والطبيعة والفلك، وكتب في السياسة والقوانين والنظم.

يقول: «بيتر جران»، إن «تاج العروس»، الذي ما يزال مستخدما الى الآن، في طبعات حديثة نسبيا، يقوم بالنسبة الى اللغة العربية، بنفس الوظيفة التي يقوم بها «قاموس أوكسفورد» الكبير للغة الانجليزية، ويصفه بأنه: «موسوعة مذهلة».

وفي الحق، ان الدكتور: حسين نصار، قد لفت نظر الدارسين، الى حقيقتين هامتين عن «تاج العروس»، فأشار الى أن هذا الكتاب، تنقصه الدلالة التاريخية البالغة الأهمية، واهتمام «الزبيدي» بالمعاني المجازية لمفردات اللغة، وليس وحسب، المعاني الحرفية.

وأضاف المستشرق «بيتر جران»، ان «الزبيدي»، اهتم من خلال اهتمامه بالمجاز بالاستخدامات الفعلية والعلمية للكلمات، بالاضافة الى اهتمامه بالأصول الأولى، والجذور الأصلية لكل كلمة، سواء وردت هذه الكلمة في القرآن أو في الحديث أو في الشعر الجاهلي أو لم ترد.

ولا شك في أن: «الزبيدي» قد حرص، واهتم كل الاهتمام، باثبات كثير من التحويرات العامية ـــ المصرية أساسا ـــ لكلمات فصيحة، والاستخدامات والمعاني التي يسقطها الاستخدام العامي على الكلمات الفصيحة.

وبالرغم من أن الدكتور حسين نصار، يقول: ان «التاج» هو أصح وأشمل وأكبر معجم عربي، فإن «بيتر جران» يقول: إن «الزبيدي» قد اهتم بالمجاز وبالاستخدامات الفعلية ـــ سواء كانت معاني أو كانت تحويرات عامية للكلمات، ويقول: ان هذا اهتمام عصري، ينتمي الى عصر «الزبيدي»، فرضته احتياجات ذلك العصر، وفرضه «الوعي» بأن اللغة العربية وفهمها، ينبغي أن يتفتحا على احتياجات عصر جديد، من المعاني والاستخدامات.

كان «تاج العروس»، أضخم معجم عربي، فقد زاد على «المحيط» خمس مرات، وكان ضعف «لسان العرب» ولم يكن أول معجم كبير، يؤلف بعد أربعة قرون من التجمد.. فقد صدر «المحيط» عام: ثمانمائة وثلاثة وصدر «التاج» عام ثلاثة وألف ومائتين، وان كان هذا «المعجم» أول كتاب للغة، يتحول الى موسوعة، تضم اكثر «المعرفة» المدونة بهذه اللغة.

والحق، أن «الزبيدي»، قد أدرك أن اللغة لا تتوقف عن النمو، بالرغم من أنها ترتبط برباط لا ينفصم عن أصولها، وعلم كذلك، أن اللغة العربية، ليست مجرد وعاء لعقل الأمة بل هي التعبير المنطقي والطبيعي عن عقل هذه الأمة، اذا تجمد تجمدت، واذا عاد الى التحرك والانطلاق ـــ تحركت وانطلقت..

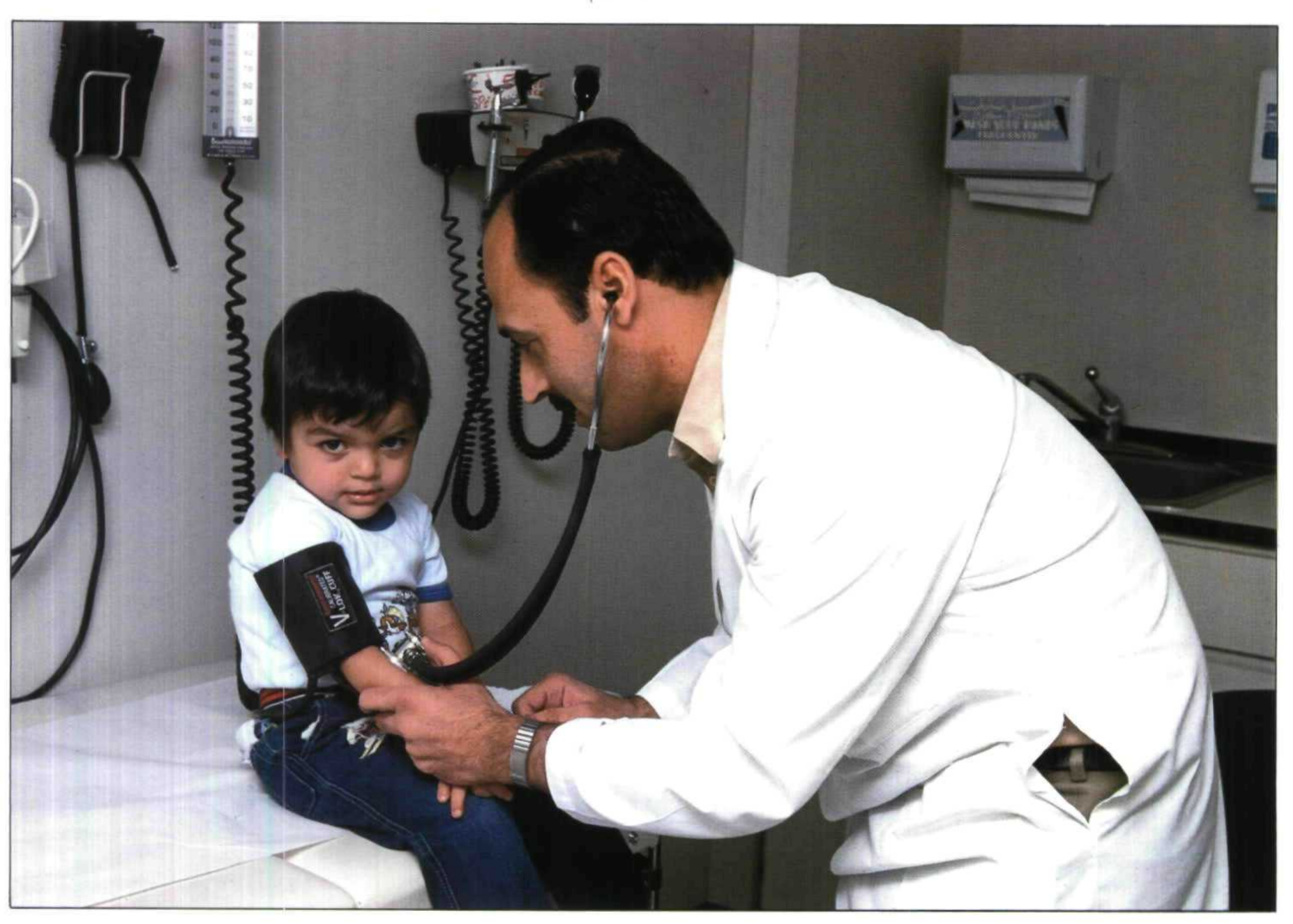
ولقد أدرك «الزبيدي» بثاقب علمه، أنه لا بد من التحول والتوسع المستمر، فنقل مشروع تأليفه لمعجمه الموسوعي الكبير، من رواية الحديث وتحفيظه وشرحه ـــ وفقا لما كان يحفظه ـــ الى «تحليله» والدراية به، بل تحول من «تحفيظ» وشرح «مقامات الحريري»، التي ظهر فيها اهتمامه بإحياء «اللغة» القويمة، الى نقد «المقامات» وتجاوزها الى الأصول الأكثر استقامة ومرونة وصحة، في عصور ما قبل «الحريري» وسجعه وبديعة، حتى عصر ما قبل الاسلام.

ولا مراء في أن «الزبيدي»، قد تحول كذلك الى التاريخ، يعيد فهمه، ويدرك أبعاده، والى الأدب ينظر فيه من جديد، عله يقيمه تقييما يرضى هو عنه، قبل أن يرضى عنه أولئك الدارسون لمنهجه، كل ذلك: كي يوقظ «اللغة» من سباتها، ويبعثها من مرقدها، التي آثرت أن تبيت فيه، وتركن اليه، وبذلك يوقظ عقل «الأمة» وينهض بها من المكان الذي ضرب عليها بجرانه، وحاصرها بظلماته، فتنفض عن جسمها التراب، وتزيل عنها ما تراكم عليها من غثاء، وما علق بها من ضعف أو وهن □

ندوة طبية عن

إرتفاع ضغط الدّم

أعدها وأدارها : ابراهيم أحمد الشنطي



يعتبر ارتفاع ضغط الدم أحد الأمراض الأكثر شيوعا في الوقت الحاضر ، مع أمراض السكري والكلى والقلب وتصلب الشرايين . ومع ان الشفاء من ضغط الدم كليا يكاد يكون نادرا ، الا انه بامكان المصاب به التعايش معه طوال مدة ما كتب الله له من العمر . وباستعمال بعض الأدوية والعقاقير واتباع نصائح الأطباء والمختصين ، فان المصاب قد يعيش ، باذن الله ، حياة تكاد تكون طبيعية .

ومن المعروف ان الدورة الدموية تجري في القلب والشرايين والشعيرات الدموية والأوردة . وضغط الدم هو قوة اندفاع الدم النقي من البطين الأيسر الى الشريان الأبهر فالشرايين الأخرى الموزعة في سائر اتجاه الجسم ، ومنها القلب نفسه . وقد بدأنا الندوة بسؤال عام للتعريف بهذا المرض الشائع :

القافلة : ما هو مرض ضغط الدم ؟ وما معنى أن يكون لدى شخص ما ارتفاع في الضغط ، ولدى آخر انخفاض فيه ؟

د. المحيا : ضغط الدم ، عبارة عن العملية الناتجة عن دفع الدم في الشرايين والأوعية الدموية . ويعرف الضغط بأنه ضغط انقباضي ــ عندما تنقبض عضلات القلب لتضخ الدم في الشريان الأورطي ، وانه ضغط انبساطي ــ حينما تنبسط عضلات القلب لاستقبال الدم العائد وملء حجرات القلب لكي يضخ الدم في الدورة الانقباضية . ومن المعروف ان المعدل الطبيعي لضغط الدم يتراوح بين ١٢٠ على ٨٠ و ١٤٠ على ٩٠ بالنسبة للكبار . واذا وجد هذا في الصغار فانه يعتبر ارتفاعا في ضغط الدم لديهم . وبناء على تعريف منظمة الصحة العالمية ، يعتبر لدى الشخص ارتفاع في ضغط الدم عندما يكون ضغطه الانقباضي اكثر من ١٦٠ مليمترا من الزئبق أو ضغطه الانبساطي اكثر من ٩٥ مليمترا من الزئبق . وفي بعض الحالات يعرف بناء على الضغط الانبساطي فقط ، فيمكن القول بأن شخصا ما لديه ارتفاع خفيف حينما يكون الضغط الانبساطي بين ٩٤ و ١١٤ ، ويقال لديه ضغط متوسط حينما يكون بين ١١٥ و ١٢٥ . أما إذا زاد على ١٢٥ فهو ضغط شديد .

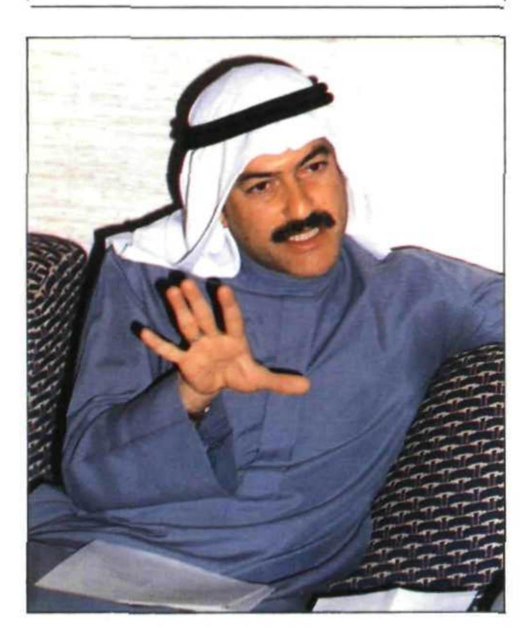
د. أبو خمسين : الملاحظ ان ضغط الدم لدى الشباب يكون أدنى مما هو لدى الكبار في السن ، ومع ذلك فان الضغط لديهم طبيعي . فالضغط يرتفع قليلا مع التقدم في السن . أما بالنسبة لانخفاض ضغط الدم فانه لا يوجد تقريبا مرض بهذا المسمى الا اذا كانت هناك حالات مرضية معينة تسبب الانخفاض في الضغط ، وهو شيء غير طبيعي ، وهنا يجب اجراء الفحوص اللازمة لمعرفة المسبب له . وقد يكون الضغط الانقباضي لدى بعض النساء والصغار في السن ٩٥ او أقل ومع ذلك يعتبر الضغط لديهم عاديا .

د. الطيب : إن تعريف منظمة الصحة العالمية لارتفاع الضغط كان نتيجة احصاءات أجريت في أماكن معينة ، كالولايات المتحدة الامريكية . ولكن هذا لا ينطبق بالضرورة على سائر الأقطار . ولذا أرى أن يكون تعريف ارتفاع ضغط الدم لدى شخص معين في سن معينة في مكان معين اذا ما قورن بمن هم في مثل حالته وعمره ومكانه . وحبذا لو يجري مسح في كل بلد او في البلاد المتجاورة لمعرفة وتحديد الضغط الطبيعي للشخص في تلك البيئة ، وبالتالي القياس عليه .

د. صلبـاخ : لقد أجريت عدة فحوصات في استراليا بصدد تعريف الضغط بأنه طبيعي او غير طبيعي . فوضعوا الرقم ٩٥ ثم وجدوا انه مرتفع فخفضوه الى ٨٥ فكان هذا الرقم منخفضا الى حد ما . لكنهم وجدوا ان المخاطر تقل اذا انخفض وتزيد اذا ارتفع . ولذا فان الرقم ٩٠ أو ٩٥ قد لا ينطبق على كل مجتمع فالبلاد المتقدمة لديها مشاكل خاصة ناتجة عن اسلوب العمل والسكن والطعام والاجهاد النفسي ، فاذا ما اتبع مجتمع ما هذا الأسلوب الذي تعيشه البلاد المتقدمة فان افراده لا شك سيعانون مثلهم .

القافلة : هل كان ضغط الدم معروفا قديما لدى العرب أو غيرهم ؟

د. أبو خمسين : ربما كانت الحجامة جزءا من معالجة ارتفاع الضغط . فعندما ينزف المرء جزءا من دمه فان الضغط عادة ينخفض ، ويخف ألم الصداع الذي كان يشعر به المريض قبل عملية النزف . وبطبيعة الحال لم تكن وسائل قياس الضغط معروفة . والى وقت قريب ، قبل اكتشاف أدوية معالجة ارتفاع الضغط ، كان الطب الحديث ينزف كمية من دم المريض كعلاج لارتفاع الضغط .



د. جعفر أبو خمسين

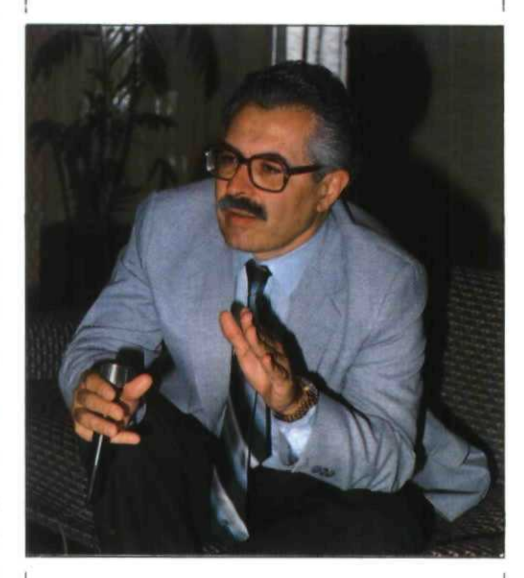
القافلة : ما هي علاقة الغذاء بالضغط ، وخاصة ملح الطعام والتدخين ؟ وهل للسمنة والوراثة عامل في الاصابة بالضغط ؟

د. الطيب : طبقا للاحصاءات العلمية ، في العالم الغربي ، فقد ثبت ان كثرة تناول الملح تسبب ارتفاعا في ضغط الدم ، كما جاء في تقارير من الولايات المتحدة وبريطانيا حيث يتناول الناس هناك نسبة من الملح اكثر من غيرهم في بلدان اخرى . وقد ظهر ان المريض اذا ما خفض معدل

تناوله من ملح الطعام الى أقل من غرام يوميا فان حالته الصحية تتعدل تبعا لذلك . وقد عقد مؤخرا مؤتمر في بريطانيا حول أمراض القلب ، ومما جاء فيه ان كثرة تناول ملح الطعام تزيد من ضغط الدم . ومع ان الاسباب غير واضحة الا ان الملح يزيد نسبة السائل خارج الخلايا — Extra Cellular Fluid ، كما ان وجود ملح الطعام يؤثر على نشاط حركة الأوعية الدموية — Vasomotor Tone . فزيادة السوائل تزيد بطريقة غير مباشرة في كمية الدم التي يضخها القلب — Cardiac Output .

د. المحيا : قد يتناول شخص ما كمية كبيرة من الملح دون ان يؤثر ذلك على زيادة الضغط لديه ، وهذا غالبا ما يعود الى كون الشخص يفرز الكثير من الاملاح مع العرق الذي ينضحه ، بالاضافة الى ان ذلك الشخص قد لا يكون لديه استعداد للاصابة بالضغط . أما إذا كان لديه خلل في الكلى مثلا ، فانها لا تطرح الملح بنسبة متعادلة مع ما يأخذه المرء منه ، ومن هنا فانه لا شك سيصاب بارتفاع في الضغط .

د. صلبان: قد يتناول شخصان يعملان معا نسبة واحدة من الملح فيصاب أحدهما بالضغط دون زميله . وفي هذه الحالة يجب ان نبحث عن العامل الاساسي الذي يجعل هذا الشخص معرضا اكثر من غيره للاصابة بالضغط . فربما يكون عامل الوراثة متوفرا لديه ، وربما تكون هناك عوامل أخرى غير معروفة مبدئيا . فاذا ما اكثر هذا الشخص من تناول الملح او القهوة او التدخين فان ضغطه في هذه الحال سيرتفع . والجسم السليم يطرح عادة ما لا يحتاجه من الملح ويحتفظ بما هو في حاجة اليه . ففي افريقيا تعيش قبائل لا تستعمل الملح وتكتفي اجسام افرادها بالملح الذي تستخلصه من الطعام ذاته — من الخضار والفواكه وغيرها . وقد ظهر من الفحوص التي اجريت عليهم أن أجسامهم لا تطرح الملح بالنسبة نفسها التي تطرحها أجسامنا ، لأن ما لديها قليل ، ولذا فهي تحتفظ به . ومن المشروبات الكثيرة الاستعمال التي تؤثر على ارتفاع ضغط الدم ، القهوة والشاي ، نظرا لوجود مادة الكافيين بها . وان المرء اذا ما استعمل هذه المادة فان ضغطه يرتفع بين ١٠ و ١٥ مليمترا من الزئبق . ولذلك يجب التقليل منهما ما امكن ، وقد يكون التقليل من تناولهما ضروريا لعلاج ارتفاع ضغط الدم .



د. شكري صلبـــان

د. أبو خمسين : إن عامل الوراثة مؤكد وهو أقوى من عامل البيئة . فأغلب الدراسات أثبتت وجود عامل الوراثة ، وهي تنتقل من الأب للأبناء اكثر من انتقالها من الأم للأبناء . وهذا لا يعني انعدام عامل البيئة ، ولكن اجتماعهما معا في شخص ما يزيد في نسبة الاصابة لديه .

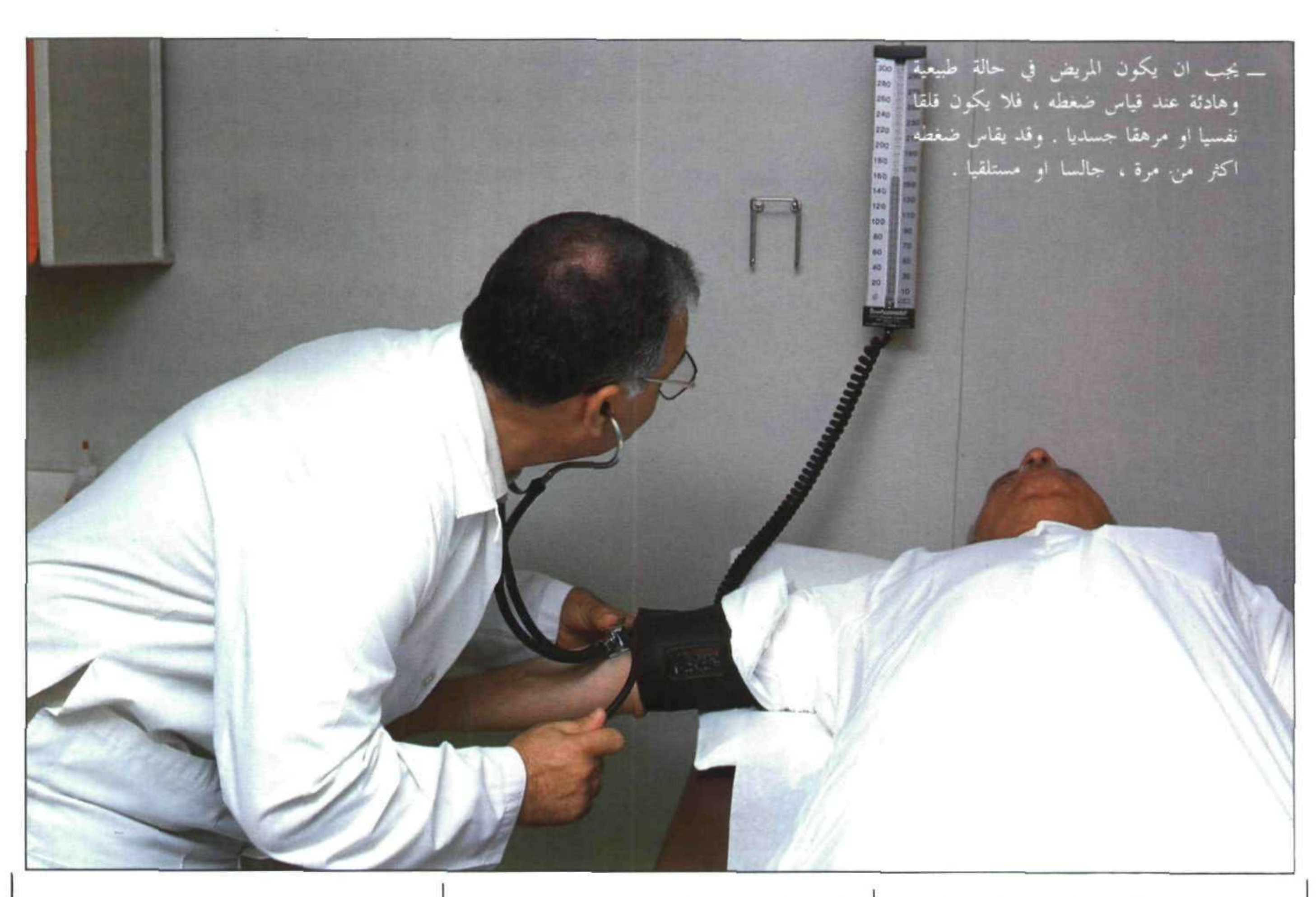
د. المحيـــا : من المشروبات الضارة التي تؤثر في زيادة ضغط الدم الكحول ، وقد أثبتت الفحوصات ذلك بصورة مؤكدة . وبودي ان اذكر شيئا عن قبيلة هندية في البرازيل يتناول أفرادها كميات قليلة من الملح ، وقد ظهر انهم عندما ينتقلون الى المدينة وتتغير عادات طعامهم يصابون بارتفاع ضغط الدم ، نتيجة لاختلاف الطعام والبيئة . كذلك التدخين فهو يزيد في إفراز هرمون يؤدي الى ارتفاع الضغط ، وذلك لوجود مادة النيكوتين في التبغ .

د. الجمـــــل : إن الأشخاص الذين يزيد وزنهم عن المعدل العام بالنسبة لأعمارهم وأطوالهم يكونون معرضين للاصابة بالضغط أكثر من غيرهم . وهذا لا يعني ان ذوي الوزن المتفق مع العمر والطول لا يصابون بالضغط ، لكن نسبة الاصابة بين ذوي الوزن الزائد اكثر . بعض ذوي الوزن الزائد عندما يخففون من وزنهم الى الوزن المناسب تنخفض لديهم نسبة ضغط الدم ، وأحيانا الى المستوى الطبيعي ، وهذا يعني ان المحافظة على الوزن المعتدل امر ضروري . ومما لا شك فيه ان السمنة عامل يساعد على ارتفاع ضغط الدم . كما ان العلاقة بين ارتفاع ضغط الدم والسمنة تظهر بشكل أوضح في الاطفال والشباب .

د. الطيّب : من خطورة التدخين أنه يزيد من مضاعفات ضغط الدم وخاصة في ما يختص بتصلب الشرايين التاجية التي تؤدي الى احتشاء عضلة القلب . اما من ناحية الوزن فقد ظهر من بعض الدراسات ان تخفيف الوزن يساعد على انخفاض ضغط الدم بمعدل ٢٠ الى ٢٥ مليمترا زئبقيا . كما وجد ان حوالي ٧٥ في المئة من الذين انقصوا اوزانهم الى الوزن الطبيعي قد عاد ضغطهم الى المعدل الطبيعي كذلك .

ومن ناحية الوراثة أظهرت بعض الدراسات ان للوراثة أثراً ثابتا في الاصابة بالضغط . فاذا كان الأبوان مصابين بالضغط فان احتمال إصابة الأبناء تصل الى نسبة ٤٥ في المئة . اما اذا كان احد الأبوين — الأب أو الأم — مصابا فقط فتصل النسبة لى ٢٥ في المئة .

القافلة : أي الفئات من الناس اكثر عرضة للاصابة بارتفاع ضغط الدم ؟ الرجال مثلا او النساء ، الشيوخ أو الشباب ، رجـال الأعمـال أو الموظفون .. ؟



ـــ يجب ان يكون المريض في حالة طبيعية وهادئة عند قياس ضغطه ، فلا يكون قلقا نفسيا او مرهقا جسديا . وقد يقاس ضغطه اكثر من مرة ، جالسا او مستلقيا .

د. المحيا : في أبحاث أجريت في الولايات المتحدة الامريكية ، وجد ان الأفراد الذين هم من أصل افريقي لديهم قابلية للاصابة بارتفاع الضغط اكثر من الأفراد البيض . وقد يكون هذا عائدا الى العرق او الى البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه السود ، الذين ربما يكون لديهم توتر في النواحي النفسية والاجتماعية والاقتصادية . كذلك وجد ان النساء في مجتمع البيض اكثر عرضة للاصابة بارتفاع الضغط من الرجال في مجتمعهن . وقد يكون ذلك عائدا الى نوع من الهرمونات او الى التركيب الفسيولوجي . كذلك من المعروف ان الشيوخ اكثر عرضة للاصابة بالضغط من الشباب ، وخاصة عندما يتجاوزون الخامسة والستين من العمر ، وقد تصل نسبة الاصابة بينهم الى نحو ٤٠ في المئة بعد تلك السن . أما في السود فتصل الى ٥٠ في المئة أو اكثر . كذلك رجال الأعمال او الموظفون او الأشخاص المشغولون فكريا دائما ، فهم معرضون اكثر من غيرهم للاصابة بالضغط . وقد ذكرت دراسة اجريت على العاملين في أبراج مراقبة الطائرات في المطارات ، بالولايات المتحدة الامريكية ، فوجد ان قابليتهم للاصابة بارتفاع الضغط تزيد ٥ ــ ٦ أضعاف قابلية الناس العاديين .

د. أبو خمسين : إن نسبة إصابة المرأة بارتفاع ضغط الدم ، في مجتمعات البيض ، تكون اقل من نسبة إصابة الرجل عندما تكون المرأة دون سن الأربعين ، لكن النسبة ترتفع عن الرجل عندما تتجاوز المرأة الخامسة والأربعين او الخمسين عاما .

د. صلبـــان : جاء في بحث صدر في البلدان الاسكندنافية (بلدان شمالي أوروبا) أن مستوى الاجهاد ، وبالتالي ارتفاع الضغط ، لا يدخل في الوظيفة ذاتها ، وانما هو الشعور بالمسؤولية لدى القيام بتلك الوظيفة او أداء ذلك العمل . فمن القائمين بتلك المهام من تؤثر عليه طريقة الأداء ــ هل هو كامل ممتاز أم انه ناقص ضعيف المستوى ــ فاذا ما شعر هؤلاء بأن أداءهم دون المستوى المطلوب فانهم يصابون بالكبت او الاجهاد الذي يؤثر على ضغطهم ، خاصة اذا كانت المسؤولية على قدر كبير من الأهمية ، كأولئك الذين يعملون في أبراج مراقبة الطائرات .

د. الجمـــــل : إن ثمانين في المئة او أكثر من حالات الاصابة بضغط الدم لا يوجد لها سبب واحد محدد ، بل يشترك في ذلك عدة اسباب : البيئة ، الطعام ، الوراثة ، وكذلك طبيعة العمل وغيرها . فمن ناحية البيئة مثلا ، وجد في احصاءات نشرت مؤخرا ان أعلى ارتفاع في الضغط سُجل كـان بين السود الذين يقطنون في ولاية جورجيا الامريكية .

د. أبو خمسين : قد يحدث ان يرتفع ضغط الدم ، مؤقتا ، لدى بعض الأشخاص عندما يمرون بأزمة نفسية ، وهذا امر طبيعي . فهناك غدد في الجسم تفرز بعض

الهرمونات لتهيىء الجسم لمواجهة المؤثر الخارجي الذي أثاره . ولكن عندما يتلاشى المؤثر الخارجي يتلاشى كذلك الضغط الذي أحدثه . فمثلا إذا شعر المرء بالخوف فان رد فعل الجسم يكون بارتفاع في ضغط الدم ، واتساع في حدقة العين ، وزيادة في عدد ضربات القلب ، وخفض نسبة الدم الموجه للاعضاء غير الحساسة ، كالمعدة والأمعاء ، وتوجيهه الى العضلات استعدادا للدفاع أو للهرب مثلا .

د. الطيب : الأفراد ذوو الطموحات العالية والتنافس الشديد قد يصابون بالضغط اكثر من ذوي الآمال المعتدلة او المقبولة ، إذ ان أعصاب الفريق الأول تظل متوترة وفي حالة تحفّز دائم استعدادا للعمل المؤدي الى بلوغ الهدف .

القافلة : هل هناك مناطق في العالم تكثر الاصابة بالضغط بين اهلها ، كالبلدان الصناعية أو النامية، البلدان الحارة أو الباردة، المدن أو القرى ؟.

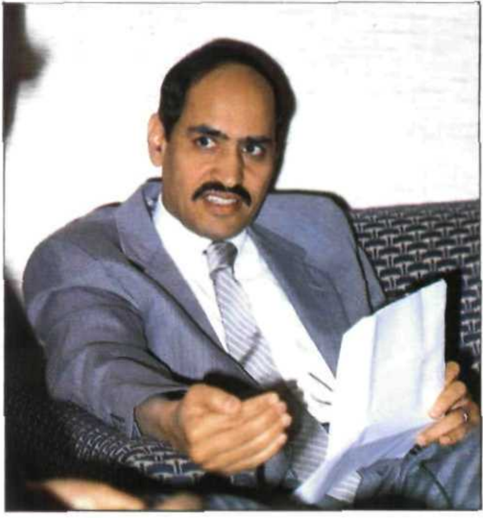
د. أبو خمسين: تقول بعض الدراسات ان الضغط عند السود الذين يعيشون في بعض المناطق الريفية أعلى منه عند السود الذين يعيشون في المدن . كما تفيد دراسات أخرى ان ضغط الدم لدى افراد القبائل التي لا تزال تعيش في جزر بالمحيط الهادي أقل من ضغط الدم لدى افراد تلك القبائل الذين تركوا العيش في الجزر وذهبوا للعيش في المدن . وهذه الدراسات كما يبدو متناقضة .

د. صلبـــان : الواقع ان مضاعفات الضغط عند السود اكثر منها عند البيض وهناك من قبائل السود Pima Indians من تصل نسبة الاصابة بضغط الدم بين افرادها الى نحو ٣٠ في المئة ، ويدخل في اسباب ذلك عوامل عدة منها الوراثة والبيئة وأسلوب العيش وغير ذلك .

القافلة : ما هي الأعراض التي تظهر على المصاب بالضغط المرتفع والمصاب بالضغط المنخفض؟ وأيهما اكثر شيوعا وأشد خطرا؟

د. الجمـل : غالبا ما يكتشف ضغط الدم فجأة لدى الشخص ، وذلك عند زيارته للطبيب لسبب من الأسباب . وقد يحدث ان يشعر المصاب بصداع في الصباح عندما يكون الضغط لديه مرتفعا جدا ١٥٠ فما فوق . وقد يشكو المصاب من ضعف الدورة الدموية في الأطراف السفلى من الجسم او يشعر بغبش او ضعف في بصره .

د. المحيـا : في بعض الحالات النادرة من ارتفاع الضغط ، ربما يشكو المريض من



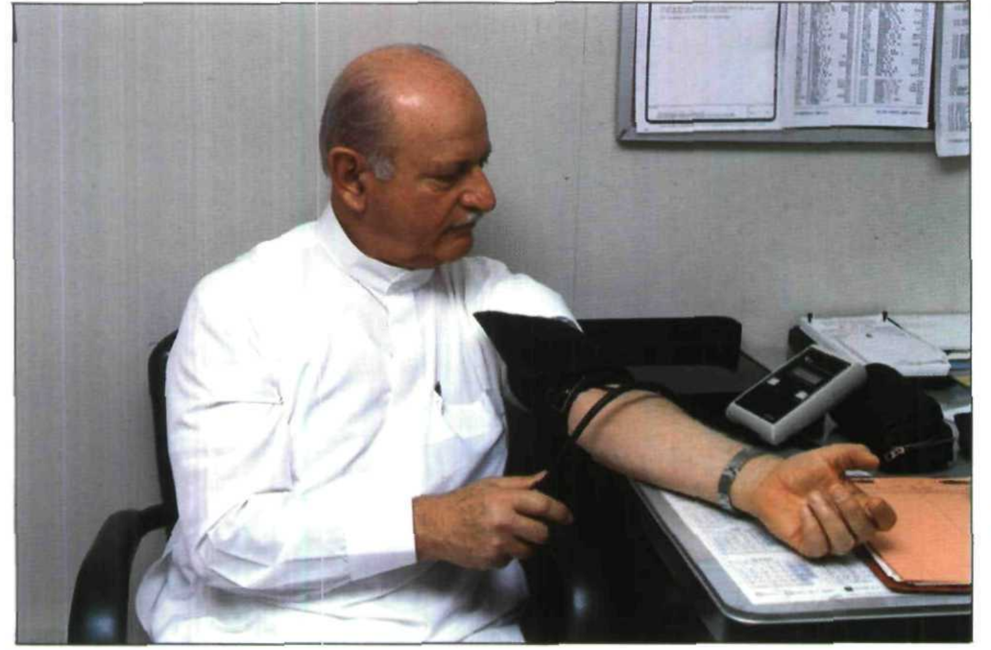
د. سليمان المحيـا

ـ توجد أجهزة حديثة لقياس الضغط يستخدمها المريض نفسه دونما حاجة للذهاب للطبيب ، إلا في الحالات غير الطبيعية .

كثرة العرق وألم في الصدر وسرعة نبض القلب ، وقد يرجع سبب ذلك الى ورم في الغدة الكظرية . اما في حالة الشعور بألم في الصدر او بين الكتفين فهذا ربما يكون ناتجا عن مرض في الشريان الأورطي .

د. أبو خمسين : ان المشكلة الأساسية في ارتفاع ضغط الدم هي المضاعفات الناتجة عنه ، وهي التي تظهر أعراضها ويأتي المريض من أجلها الى الطبيب فيكتشف الضغط ، ويجد انه قد مضى على وجوده مدة طويلة . والارتفاع الشديد في ضغط الدم قد يسبب نزيفا في الدماغ ، لكن هذا أقل حدوثا من إصابة الأعضاء الحيوية الأخرى في الجسم مثل القلب والكلى . وهناك نوع يسمى بضغط الدم الخبيث ، وهو ارتفاع متسارع في ضغط الدم خلال فترة وجيزة ، وهو أخطر من النوع الذي يرتفع تدريجيا .

د. الطيب : ارتفاع ضغط الدم مرض مخادع لا يظهر إلا عندما يشتد ، لذلك يجب على المرء ان يفحص ضغطه كلما زار الطبيب او سنويا على الأقل . اما اعراض مرض ضغط الدم المنخفض فهي شعور المصاب بفتور عام ــ وليس ذلك بالضرورة ان يكون المرء مصابا بهبوط في الضغط ، اذ ربما يكون مصابا بمرض السكري مثلا . وقد ينتج الهبوط عندما



يفقد الجسم كثيرا من السوائل — في حالة الاسهال الحاد مثلا . او ان يكون لدى المصاب احتشاء في عضلة القلب . اما المصاب بهبوط مزمن في ضغط الدم فيكون عادة شاحب اللون بارد الاطراف لديه زيادة في ضربات القلب ، وتبوله قليل . وعلى أية حال فان الاصابة بالضغط المرتفع اكثر شيوعا واكثر خطرا .

د. صلبـــان : المعروف ان الشرايين مكسوة من الداخل بخلايا حية ، فارتفاع ضغط الدم في الشرايين يؤثر على هذه الخلايا فتتلف قبل أوانها الطبيعي ، ويتبع ذلك عدة مضاعفات . منها امراض الكلى والقلب ونزيف الدماغ والجلطة وسوء (عمل) الدورة الدموية ، كل ذلك ناتج عن تلف في شرايين الدم .

القافلـــة : هل الاصابة بالضغط ناتجة عن مرض آخر او خلل ما في الجسم ؟

د. المحيـــا : ان ٩٠ في المئة من حالات ارتفاع ضغط الدم تكون مجهولة الأسباب ، وهي ما تسمى بالضغط الأولي ، ولدى المصابين بهذه الحالة قابلية وراثية لارتفاع الضغط . اما العشرة في المئة الباقية فربما تنتج عن امراض مختلفة ، كاختلال الكلى وضيق الشرايين فيها ، او خلل في الغدد كالغدة الدرقية والغدة الكظرية ، او مرض في الشريان الأورطي ، او نتيجة للحمل عند النساء . وهناك اشخاص معرضون للاصابة بارتفاع الضغط كالمصابين بمرض السكري والنقرس ووجود حصى في الكلى .

د. أبو خمسين : هناك عوامل عدة تزيد في نسبة المضاعفات الناتجة عن ارتفاع الضغط الأولي لدى المصابين به ، كالتدخين ، وارتفاع نسبة الكولسترول في الدم ، والسكر ، فهذه العوامل تزيد في مضاعفات ضغط الدم المرتفع ، وخاصة امراض القلب وتصلب الشرايين التاجية والجلطة القلبية .

د. الطيب : هناك سبب مهم في ارتفاع ضغط الدم عند النساء ، وهو استعمالهن لحبوب تنظيم الحمل . فمنهن من لا يناسبها بعض انواع الحبوب ، ولذا على من تستعملها ان تفحص الضغط لديها دوريا لمعرفة ذلك . كما ان امراض الغدة النخامية قد تسبب ارتفاعا في ضغط الدم .

د. الجمـــل : عندما يكتشف الطبيب ارتفاع الضغط لدى المريض فانه في العادة يجرى له فحوصات عديدة لمعرفة اسباب ذلك ، ومنها الحبوب التي تستعملها النساء



د. إيـــاد الجمـــل

لتنظيم الحمل وخاصة تلك التي تحتوي على مادة الاستروجين . فحوالي خمسة في المائة من اللواتي يستعملن هذه الحبوب يصبن بارتفاع ضغط الدم . وهذا يحدث عادة عند اللواتي تزيد اعمارهن على ٣٥ سنة ، أو لديهن زيادة في الوزن ، أو اللواتي يدخـنّ . وفي معظم الحالات يكون ارتفـاع ضغط الـدم طفيفا ، وعادة يعود الى مستواه الطبيعي عند ترك الحبوب في خلال ٣ — ٦ شهور .

القافلـة : هل الاصابة بالضغط المرتفع تخفض مناعة الجسم ضد بعض الامراض ، وما هي المضاعفات أو الامراض التي قد تنتج اذا لم يعالج ؟

د. أبو خمسين : إن ارتفاع ضغط الدم سبب مباشر لمضاعفات امراض اخرى تصاب بها اعضاء حيوية في الجسم مثل القلب او الدماغ أو الكلى . فارتفاع الضغط قد يسبب عجزا في القلب لعدم قدرته على ضخ الدم نظرا لارتفاع الضغط ولتصلب الشرايين . وهنا تتضخم عضلة القلب نتيجة قيامها بمجهود اكبر لمواجهة الضغط المرتفع الذي يقابلها عند ضخ الدم . وبعد مدة تعجز العضلة ويبدأ الضغط بالارتفاع داخل حجيرات القلب ويعود الضغط الى الاوردة التي تجلب الدم للقلب من الرئتين فتحتقن ، ويحدث ضيق في التنفس لدى القيام بأي مجهود عادي . والأخطر من ذلك هو تصلب الشرايين التي تغذي عضلة القلب ذاتها ، فعندما تتقلص تلك الشرايين ، وقد تنغلق نتيجة لنقص نسبة الدم التي تمر عبرها ، يصاب بالتلف ذلك الجزء ، من عضلة القلب ، الذي كان يغذيه الشريان المنغلق ، وهنا يحدث ما يسمى بالجلطة ، وهي من اخطر المضاعفات التي قد تؤدي الى الوفاة مباشرة .

د. الطيب : إذا بلغ ارتفاع الضغط درجة كبيرة فانه يؤثر على شرايين العين ، ويصيبها بالتالي بالتصلب ، وقد يؤدي الى نزيف داخل العين وانتفاخ بها ، وقد يقود الى ضعف البصر ، وضمور العصب البصري . كذلك فان ارتفاع الضغط قد يؤدي الى انفجار احد شرايين الدماغ ، وفي هذه الحالة قـد يصاب المرء بالشلل النصفي . وطبعا هذا يكون في مرحلة متقدمة من الاصابة بارتفاع ضغط الدم الخبيث . وهناك مضاعفات تسمى « اعتلال الدماغ » وهي شبيهة بالصرع ، والاصابة به تحدث في الحالات الشديدة .

د. صلبـــان : عندما ينظر الطبيب في التجويف السفلي للعين فانه بذلك يطلع على حالة كل الشرايين في الجسم ومدى الضرر الذي أصابها . فشرايين العين تعطينا فكرة واضحة عن تطور المرض والمضاعفات التي قد تصيب المريض ، إذ أن قاع العين نافذة يطل منها الطبيب على سائر الشرايين .

د. الجمـــل : بالاضافة الى الشرايين الصغيرة التي يمكن رؤيتها لدى النظر الى قاع العين ، فان تصلب الشرايين الكبيرة ، أو تكلّس الشريان الأبهر ، يؤدي الى ضعف الدورة الدموية في الجسم واطرافه

السفلى خاصة . كما يؤدي الى ضيق الشرايين الموصلة الى الكلى والأعضاء الأخرى .

د. المحيا : اذا ما اشتد ارتفاع الضغط ولم يعالج فان المريض قد يصاب بما يسمى بفشل او هبوط الكلى المزمن ، وينتج عن هذا احتقان الجسد بالسموم مما يؤدي الى ضرورة ديلزة دم المريض وتحضيره لزراعة الكلية في المستقبل .

القافلة : ما هو مدى تأثير الضغط على الحالة النفسية للمصاب ، كالاحباط والغم والكسل ، او فرضاً النشاط والمرح ؟

د. الطيب : من آثار الضغط إصابة المريض بالقلق ، وقد تتطور الحالة الى الوسوسة والاكتئاب . وهذا يؤثر على علاقاته العملية والاجتماعية والأسرية . وقد يشتكي المصاب بالضغط الخبيث من الفتور وعدم قدرته على القيام بواجباته كاملة . وكثيرون من المرضى يشتكون ، نتيجة القلق ، من الصداع ويعزون ذلك الى ارتفاع الضغط ، وكثيرا ما يتبين لدى فحصهم ان ضغطهم عادي .

د. الجمل : هناك نقطة مهمة حول الحالة النفسية للمريض ، وهي ان بعض الأدوية التي يتناولها المصاب قد يؤدي الى الخمول ، ولذا يجب التفريق بين الآثار الجانبية لعلاجات ضغط الدم ، وآثار ارتفاع ضغط الدم على الجسم .

د. صلبان : هناك من المصابين ، في المراحل الأولية للمرض ، من يرفض المرض وتناول الدواء لأنه لا يشعر به ، لكنه ما ان يتناوله حتى تظهر الاعراض عليه ، ولذا علينا علاج الحالة النفسية لديه كي يتقبل كونه مريضا . وهنا يبدأ القلق وتوتر الأعصاب ، لا سيما وان المرض لا يشفى بين يوم وآخر ، بل يحتاج الى فترة طويلة ، وعليه فان على المريض ان يتعايش مع المرض .

د. الطيب : من المرضى من يأخذ منه القلق او الوسوسة مأخذاً شديداً ، فتراه يقيس الضغط صباح مساء ، وقد يجده مرتفعا جدا في بعض الحالات ، إما لاجهاد جسماني او لقلق نفسي . وبطبيعة الحال سيزيد قلقه من ارتفاع الضغط لديه . ولذا يكفي ان يقيس الضغط كل اسبوع او



د. كمال الدين الطيب

اسبوعين ، وعليه ان يتعامل مع المرض كصديق ملازم له طوال حياته ، وان يحسن معاملة هذا الصديق باتباع الارشادات الطبية والمتابعة حتى لا يغدر المرض به ويؤدي الى المضاعفات سالفة الذكر .

القافلة : هل هناك طريقة لاكتشاف الضغط وعلاجه قبل استفحاله ؟

د. صلبان : من الصعب على الطبيب اكتشاف الضغط في مرحلة مبكرة جداً حيث لا اعراض محددة للمرض ، وكيف يستطيع ذلك دون ان يأتي المريض اليه لفحصه ؟ لذا يجب الاعتماد على الاجراءات الدورية او عمليات المسح الطبي . كالتي تجرى في المدارس لاكتشاف المرض وهو في مراحله الأولى . وقد يكون ارتفاع الضغط مؤقتا وناتجا عن احد المسببات له ، كأن يقاس للمرء بعد تمرين رياضي أو إجهاد عضلي ، أو حتى بعد وقفة طويلة له تحت الشمس او بعد صعود سلم وغير ذلك . فالتشخيص يجب ان يكون على مراحل يفصل بينها بضعة ايام ، وان يكون المريض مستريحا جسديا ونفسيا ، وبعدها يمكن ان يبتّ الطبيب بالأمر . غير انه في حالة ارتفاع الضغط الانبساطي يمكن علاجه منذ المرة الأولى ، اذا ما بلغ ١١٥ او ١١٠ ملمترات من الزئبق . كذلك يدخل عامل الوراثة في التشخيص ، ويمكن البدء في العلاج لدى ظهور المرض على المرء ، وبعد قياس الضغط عدة مرات والتحقق من ان الضغط الانبساطي أعلى من ٩٥ ، فان على الطبيب ان يبدأ في العلاج مباشرة . ومن الأبحاث المتوفرة لدينا يوجد حالة ١٥ في المئة من الناس يكون ضغطهم الانبساطي بين ٩٠ و ٩٥ . وفي هذه الحالة تشكل عملية علاج هذه النسبة عبئا كبيرا على المؤسسات الصحية ، ولذا نكتفي بعلاج من يزيد ضغطهم الانبساطي على ٩٥ فقط . مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة توجيه الفئة الأولى وإرشادها لكي تخفض المعدل او على الأقل تحافظ عليه فلا يزيد . فيطلب ممن يدخن من أفرادها بالتوقف عن ذلك ، وبانقاص وزن السمين منهم ، وبالاسترخاء بعد العمل المجهد ، وبمراجعة الطبيب بين فترة واخرى ليظل تحت المراقبة .

د. المحيا : إنّ مراعاة الحالة النفسية للمريض أمرٌ واجب ، حتى يشعر بشيء من الاطمئنان . كما يجب على الطبيب التأكد من نوع جهاز ضغط الدم . فاستخدام جهاز القياس الخاص بالأطفال لقياس ضغط الكبار ، او استخدام جهاز القياس العادي لرجل سمين قد لا يعطي القياس الصحيح . ثم ان معرفة تاريخ المرض امر مهم للطبيب ، فوجود عامل الوراثة يدعم احتمال وجود ضغط أولي . وهنا يطلب الطبيب بعض التحاليل البسيطة كأشعة للصدر وتخطيط للقلب وبعض تحاليل الدم . وفي حالة الشك يطلب الطبيب إجراء تحاليل اخرى لمعرفة كفاءة الكلى في أداء وظيفتها ، وكذلك الغدة الدرقية ، والغدة الكظرية ، وتحليل البول .. الخ . وإذا ظهر شك في ضيق شريان الكلية يطلب الطبيب صورة أشعة ملونة لها وكذلك للشرايين .


صورة جماعية للمشاركين في الندوة .

د. أبو خمسين : هناك طريقة أولية لاكتشاف المرض وهي ان يأخذ الطبيب قياس ضغط المريض كلما زاره ، وهذا كمسح مبدئي للضغط . فاذا كان الضغط الانبساطي ٨٠ او أقل طمأن الطبيبُ المريضَ على ضغطه ، والا طلب اليه العودة لتكرار الفحص كاجراء وقائي اولا وعلاجي فيما بعد .

وهناك أيضا عامل مهم وهو تحديد اسباب ضغط الدم ، حيث يوجد نحو ١٠ في المئة من الحالات يكون علاجها فعالا وسريعا ، ومنها على سبيل المثال العلاج بالجراحة التي قد يختفي المرض بعدها لأنها أزالت المسبب لها .

القافلة : ما هي وسائل العلاج وأنواعه المستخدمة حاليا لكلا النوعين المرتفع والمنخفض ، وما هو الجديد في هذا المجال ؟

د. الجمل : لعل الخطوة الأولى في العلاج هي البحث عن العوامل التي أدت الى الاصابة بالمرض . فاذا كان السبب يستلزم جراحة أجريناها . واذا كان المريض سمينا طلبنا منه تخفيض وزنه الى الحد الطبيعي — وهذا الأمر ربما يجنبه استخدام الحبوب طوال عمره . كذلك نطلب من المريض المدخن أن يمتنع عن التدخين ، هذا بالاضافة الى القيام ببعض التمارين الرياضية التي يقررها الطبيب . ومن وسائل العلاج تقليل كمية تناول الملح والمواد الدهنية .

د. المحيا : بالاضافة الى نصح المريض بالتقليل من الملح والامتناع عن تناول المشروبات المختلفة والابتعاد عن التوتر النفسي ، فان الأطباء يوصون باستعمال بعض الأدوية المدرة للبول لتخليص الجسم من الأملاح. أو يعطون المريض مركبات اخرى بديلة عن المدرات او بالاضافة اليها . وقد نزل الى الأسواق حاليا دواءان جديدان هما : المينوكسديل MINOXIDIL والكابتوبرل CAPTOPRIL ويستعمل هذان الدواءان في الحالات الصعبة التي لا تستجيب للأدوية الأولية .

د. أبو خمسين : إن علاج ضغط الدم إذا ما اكتشف متأخرا يتطلب ، بالاضافة الى علاجه هو ، علاج المضاعفات التي يكون قد سببها والأعضاء التي أصيبت نتيجة لذلك ، ومنها أمراض القلب والشرايين .

د. الطيب : الضغط الأولي لا يمكن الشفاء منه نهائيا . أما الضغط الناتج عن ضيق في شريان الكلية او في الشريان الأبهر ، او عن تضخم في الغدة الكظرية او النخامية فيمكن الشفاء منه باستخدام الجراحة . فعندما يحضر المريض الى العيادة يبدأ الطبيب بمعالجة المرض الأخطر على حياة المريض اولا ، مثل الاصابة بمرض القلب او الدماغ أو بالجلطة .. وهنا يحاول الطبيب ان يخفض الضغط « تدريجيا » ، حيث ان « السرعة » في تخفيض الضغط ، في حالة حدوث نزيف ناتج عن الضغط ، قد تساعد او تؤثر على احتشاء الدماغ اكثر مما كان عليه . واهم شيء في العلاج هو المحافظة على تناوله في الوقت والكمية المحددين ، مع الاستمرار المنتظم في ذلك .

د. صلبان : هناك أبحاث تفيد بأنه من الممكن ، في بعض الحالات ، عندما ينخفض ضغط الدم العالي لدى المصاب الى الحد الطبيعي ان يبدأ الطبيب ، بحذر ، في تخفيض كمية الأدوية تدريجيا ، الى حد ان بعض المصابين قد توقف عن اخذ الأدوية كليا . وقد لاحظ الأطباء ان الضغط لدى معظم هؤلاء المرضى قد عاد الى الارتفاع ثانية تدريجيا ، بعد مضي نحو ١٢ — ١٨

شهرا . لكن نسبة محدودة منهم قد استمر ضغطهم في المجال العادي ، لكنهم ظلوا يراقبون انفسهم بانتظام من ناحية الوزن وعدم التدخين وخفض نسبة الملح والقيام ببعض التمرينات الرياضية وما الى ذلك . ومع ان هؤلاء قد يستمرون فترة طويلة على هذه الحال ، الا ان الضغط لديهم سيعود الى الارتفاع اذا ما تهاونوا في ما أوصاهم الطبيب بالامتناع عنه او عمله . وبودي هنا ان اشير الى ناحية الرياضة ، إذ لا يجب أن تكون بالضرورة في أماكن محددة ، بل يمكن ان تكون من قبيل المشي في الحي الذي يقيم فيه المصاب او بالخروج الى الحدائق العامة . والمشي عادة مفيدة من الناحيتين الجسدية والنفسية ، وليبتعد المرء

الاستاذ ابراهيم الشنطي — معد الندوة .

عن الجلوس بدون حركة امام جهاز التلفزيون .

د. المحيا : ظهر في بعض الحالات التي استخدمت فيها الجراحة لمعالجة ضيق شريان الكلية ان الضغط قد عاد الى الارتفاع بعد التدخل الجراحي . كما استحدث علاج جديد عن طريق القسطرة ،.وهي إدخال أنبوب قسطرة في نهايته بالون صغير ثم ينفخ فيه فيتسع الشريان بعد عدة مرات ، لكن هذه العملية لا تشفي المريض كليا ، وسيعود ارتفاع الضغط اليه ثانية . ولذا فان المختصين ينصحون باستخدام بعض الادوية التي تفيد في توسعة الشريان دون اللجوء الى العملية الجراحية ، ومن هذه الأدوية كابتوبرل CAPTOPRIL أو انديرال INDERAL مع الهيدرالازين HYDRALAZINE ودواء آخر مدرّ للبول . لكن الكابتوبرل له مضاعفات أخرى .

د. الجمل : في الحقيقة هناك أدوية متنوعة كثيرة في معالجة الضغط لدرجة يحتار معها الطبيب في اختيار الدواء المناسب ، فهناك مثلا الأدوية التي تمنع الكالسيوم من الدخول الى الكلية ، وهذه الأدوية تخفض ضغط الدم عن طريق توسعة الشرايين في الجسم . وهناك دواء يسمى نايفدبين NIFEDIPINE ويستخدم في علاج ضغط الدم المزمن وكذلك في علاج الضغط الحاد . ولا شك ان هذه الأدوية تقوم بدور هام في علاج الضغط لأنها مفيدة لتوسعة شرايين القلب ولأن مضاعفاتها الجانبية قليلة بالنسبة الى بعض الأدوية الأخرى .

د. الطيب : قد لا يحتاج المرضى المصابون باحتشاء في عضلة القلب الى مواصلة علاج الضغط وذلك يعزى الى توسع الأوعية الدموية . ويستحسن إعطاء المريض فكرة كافية عن مضاعفات الأدوية التي يتناولها . كما يجب متابعة المرضى الذين يستعملون الأدوية المدرة للبول لأنهم معرضون للاصابة بالسكري والنقرس ، ونقص ملح البوتاسيوم الذي له مضاعفات كثيرة خاصة عند المرضى الذين يستعملون عقار الديجكسين DIGOXIN لهبوط القلب الناتج عن ارتفاع الضغط

القافلة : ماذا عن معالجة انخفاض ضغط الدم ؟

د. أبو خمسين : عادة يكون انخفاض ضغط الدم ناتجاً عن مسبب آخر مثل النزيف أو القصور ، او عجز في القلب او بعض الأعضاء الحيوية الأخرى . وهذا يتطلب إدخال المريض للمستشفى فورا ومعالجته . فانخفاض ضغط الدم الانقباضي الى اقل من ٨٥ او ٨٠ مليمترا من الزئبق لفترة طويلة قد يؤدي الى وقف وظيفة الكلية بصورة مؤقتة او ربما دائمة ، أو قد يوقف وظيفة الدماغ بسبب نقص وصول الدم والأوكسجين اليه . وربما يؤدي الى فشل في القلب والدورة الدموية واحتمال الوفاة ، وهذا يتطلب العلاج السريع والفعال . أما اذا كان هناك انخفاض مستمر يؤدي الى ظهور أعراض أخرى يشتكي منها المريض، ولم يوجد سبب مؤد الى هذا الانخفاض ، فيمكن نصح المريض بتناول بعض السوائل او الملح . وأود الاشارة هنا الى امكانية حدوث انخفاض مؤقت ، وهي عندما ينهض المرء بصورة فجائية ، أو أن يستوي قائما وقد كان مضطجعا ، وهذا طبعا لا خوف منه إلا إذا استمر او أدى الى فقدان الوعي ، ولكن ينصح المرء دائما بالاعتدال تدريجيا عندما ينهض سواء كان نائما أو جالسا .

د. المحيا : بالاضافة الى زيادة نسبة الملح في الطعام بين ١٠ و ٢٠ غراما في اليوم ينصح المريض احيانا باستخدام كلسات طبية كي يضغط على القدمين لترتفع السوائل الى اعلى . كذلك هناك دواء يدعى ايفورتيل EFFORTIL ، يتناوله المريض إذا كان الانخفاض لديه أوليا وليس ثانويا ، وإلا فيجري معالجة المريض ويعيشون حياة عادية ، لذا لا داعي لمن يجري عند ظهور الأعراض .

د. الجمل : هناك مجموعة من الناس يكون الضغط الانقباضي لديهم بين ٨٥ و ٩٠ ولا يشتكون من أية أعراض ويعيشون حياة عادية، لذا لا داعي لمن ضغطه في هذه الحدود ان ينزعج منه . وينصح المريض دائما بمراجعة الطبيب عند الشعور بأية أعراض ، فالطب اليوم متقدم الى درجة كبيرة وكلما كان اكتشاف المرض مبكرا كان العلاج انجع .

وبعد، عزيزنا القارىء ، فهذا ملخّص ما دار في تلك الندوة الطبّية، قدّمناه لك في هذه الصفحات القليلة، آملين أن يكون فيه النفع والفائدة، وسائلين الله أن يُسبغ علينا جميعاً ثوب الصحة والعافية □



تصوير شركة الخدمات الوطنية
ووحدة التصوير بأرامكـــو

راجع مقال: «محاولات الانسان في كشف البحار».

